حملة بلدوين الأول على مدينة الفرما ١١١٨ م/ ٥١١ هـ
دراسة تاريخية

د. أميرة محمد شحاتة أحمد أبوزيد

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب، جامعة بورسعيد

dramira2008@yahoo.com

DOI: 10.21608/jfpsu.2022.129915.1177

حملة بلدوين الأول على مدينة الفرما ١١١٨ م/ ٥١١ هـ
دراسة تاريخية

مستخلص

حازت مدينة الفرما أهمية تاريخية كبيرة عبر العصور؛ نظرًا لموقعها الجغرافي المميز – الذي أوضحته الدراسة في ضوء أبرز المصادر الجغرافية – حيث تعتبر مفتاح بوابة مصر الشرقية، وظهر اسم المدينة في مصادر عصر الحروب الصليبية من مصادر لاتينية، وإسلامية، وقبطية، وأرمينية في خضم حملة الملك بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠–١١١٨م) على مصر. والجدير بالذكر أن فكرة الصليبيين للسيطرة على مصر قديمة قدم الحركة الصليبية نفسها، كما ارتبط بهذه الحركة أسماء العديد من المدن.

وقد صاحبت حملة بلدوين الأول بعض الأحداث البارزة؛ كوفاة الملك بلدوين، وتمخض عنها عدة نتائج أهمها: تغير السياسة الفاطمية تجاه الوجود الصليبي... وقد حاولت الدراسة مقابلة روايات المصادر المختلفة وترجيح أصوبها طبقًا للواقع التاريخي.

الكلمات المفتاحية: الحروب الصليبية، الدولة الفاطمية، بلدوين الأول، الفرما، مصر.

Baldwin I's Campaign on al-Farama 1118 AD/511 AH A Historical Study

Dr. Amira Muhammad Shehata Ahmed Abu Zaid
Lecturer of Medieval History
Faculty of Arts, Port Said University

Abstract

The city of al-Farama has acquired great historical importance through the ages due to its distinguished geographical location, which the study clarified in the light of the most prominent geographical sources, as it is considered the key to the eastern gateway to Egypt. The name of the city appeared in the sources of the era of the Crusades from Latin, Islamic, Coptic and Armenian sources in the midst of King Baldwin I's campaign (1100-1118 AD) over Egypt. It is worth mentioning that the idea of the Crusaders to control Egypt is as old as the Crusade itself and this movement has been linked to the names of many cities.

Baldwin I's campaign is associated with some notable events such as the death of King Baldwin, and this campaign led to several results; the most important of which is the change of the Fatimid policy towards the Crusader presence... The study attempted to compare the accounts of different sources and recommend the most correct ones according to historical reality.

Keywords: Crusades, Fatimid state, Baldwin I, Pelusium, al-Farama, Egypt.

تظهر الإشارة إلى مدينة الفرما بوضوح في مصادر عصر الحروب الصليبية[١] في كلٍ من المصادر اللاتينية والأرمينية والعربية في خضم أحداث عام ١١١٨م/ ٥١١ هـ وهو العام الذي شن فيه الملك بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠-١١١٨م)[٢] حملته على مصر[٣]، ولتترك أثرها في تاريخ الحروب الصليبية بوصفها رحلة أخيرة لمؤسس المملكة قهر فيها القدر حلمه بالسيطرة عليها.

وتأتي أهمية البحث في التأكيد على أن فكرة الصليبيين للسيطرة على مصر قديمة

---

١) من الجدير بالذكر أن الكلمة الألمانية Kreuzzag والإنجليزية Crusade قد ظهرتا في القرن الثامن عشر فقط، وهكذا يتبين أن أولى مشكلات البحث في تاريخ الحروب الصليبية في هذا المصطلح الذي يحمل في طياته تناقضا بين الدلالة اللغوية والحقيقة التاريخية؛ فقد ارتبط اسم هذه الظاهرة التاريخية الكبرى في العصور الوسطى بالصليب بعد حوالي قرن ونصف القرن من دوران عجلة أحداثها. قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية (القاهرة: دار عين، ٢٠٠٤)، ص ١٣- ١٥.

إن تعريف الحروب الصليبية تاريخيًا يعد أمرًا بالغ الأهمية، وفي ذات الوقت بالغ الصعوبة، وذلك لتعدد أراء المؤرخين، ونظر كل منهم من زاوية معينة. وقد أمكن رصد أبرز هذه الآراء وإن جاز تسميتها بالنظريات فيما يأتي: جاء أحد التعريفات من الاسم الذي أطلق على هذه الحروب في النظر إليها على أنها "حروب دينية قام بها الغرب الأوروبي في أخريات القرن الحادي عشر الميلادي من أجل السيطرة على الأراضي المقدسة".وهناك فريق من المؤرخين رأى الحروب الصليبية أنها جزء من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب امتداد لهذه العلاقات منذ التاريخ القديم، بمعنى امتداد هذا الصراع التقليدي بين الشرق والغرب والذي تمثل قديما في الصراع الذي ظهر بين الفرس واليونان وبين الفرس والروم، وهذا الصراع لا يمكن ربطه بأي عامل ديني، فقد دارت عجلة أحداثه في عصور كان الشرق والغرب فيها وثنيين؛ لذلك يمكن اعتباره صراعا بين حضارتين أو نمطين مختلفين في الحياة، ويشبه أنصار هذا الرأي حال الصراع بين الشرق والغرب بالبركان الذي اشتد غليانه وفورانه في العصور الوسطى؛ فتمخض عنه الحروب الصليبية. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ج١، (القاهرة: الأنجلو المصرية، ط ٤، ١٩٨٦)، ص ١٩؛ محمد مؤنس عوض، تاريخ الصليبيات الصراع العالمي في العصور الوسطى، (القاهرة : دار العالم العربي،٢٠١١م)، ص ١٩-٢١.

وفي تصور فريق آخر: أنها سلسلة هجرات صاحبت سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية. فقد مثَّل انهيار هذه الإمبراطورية لبعض الناس في الغرب نذيرا بنهاية العالم الذي اعتقدوا أنه لن يستمر بانهيار دعامته الكبرى من وجهة نظرهم وهي الإمبراطورية الرومانية، وارتبط بهذا التصور فزعهم وفرارهم في شكل هجرات متفاوتة المدى الزمني والاتجاه المكاني. سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٢٠.

وتصور البعض أنها السياسة الخارجية للبابوية في العصور الوسطى، نظرا لدور البابوية في الدعوة لهذه الحملات والإشراف عليها. وهناك زاوية على جانب من الأهمية وتجد أيضا من يؤيدها وهي التي تعد الحروب الصليبية حركة استعمارية نبعت من الغرب الأوروبي في العصور الوسطى، وربما يرتبط هذا التعريف بالرأي الذي ساد بين الباحثين في اعتبار الحروب الصليبية طريق سلكه الغرب للفكاك من قيود العصور الوسطى والانطلاق إلى رحاب آفاق أوسع. محمد مؤنس عوض، تاريخ الصليبيات، ص ١٩-٢١.

ويوجد مجموعة أخرى من المؤرخين ترى أن الحركة الصليبية ليست سوى انطلاقته كبرى نتجت عن عملية الإحياء الديني التي بدأت في القرن العاشر في غرب أوروبا وبلغت ذروتها القرن الحادي عشر؛ حيث ظهر شعور قوي بالرغبة في العثور على منفس خارجي تستهلك فيه طاقات هائلة، وهكذا عرف القرن الحادي عشر ظاهرة الحج الجماعي. سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٢٠.

للمزيد حول تطور المصطلح انظر عباس عاجل جاسم الحيدري - سمير صالح حسن العمر، "الحروب الصليبية تطور المصطلح والمفهوم" *مجلة جامعة بابل العلوم الإنسانية*، المجلد ١٩، العدد ٤،(٢٠١١م) .

٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية ...تاريخ الأعمال التى تم إنجازها فيما وراء البحر، ترجمة/ حسن حبشي، ج٢، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١-١٩٩٥)، ص ١٥١-١٥٢- ص ١٩٣-١٩٦.

٣) ماير (هانس ابرهارد)، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة / عماد الدين غانم، تقديم / نجاح صلاح الدين القابس (طرابلس، ليبيا: مجمع الفاتح للجامعات، ١٩٩٠)، ص ١١٧.

قدم الحركة الصليبية نفسها؛ فقد توجهت أنظار الملك بلدوين الأول نحو مصر، وعبر الصحراء حتى وصل إلى الفرما، الواقعة على ساحل البحر المتوسط داخل الأرض المصرية، والتي تعد أول مركز دفاعي. وقد اكتسبت منطقة الفرما أهمية تاريخية كبيرة عبر العصور، كونها جزء من مفتاح بوابة مصر الشرقية.

ويستهدف البحث دراسة حملة بلدوين الأول على مدينة الفرما في ضوء المصادر، ثم رصد الدراسة لأبرز نقاط الاختلاف والاتفاق بين الروايات من حيث تقدير حجم القوات، وخط سير الحملة، وأدراك هذه المصادر للأهداف الاستراتيجية والاقتصادية للحملة، ودور البدو خلالها، وتقدير حجم المقاومة، ووصف ما انتاب المدينة من تدمير، وعرض الروايات التي صاحبت الحملة حول أسباب وفاة الملك وإخضاعها للتقييم وفق الواقع التاريخي ليتم التوصل للخلاصة بتحديد أبرز نتائج الحملة على الصعيدين الإسلامي والصليبي.

وقد توفر لهذه الدراسة بعض الدراسات السابقة المتمثلة في الكتابات التي تناولت الملك بلدوين الأول بوصفه مؤسس للمملكة الصليبية في الشرق ضمن دراسات عامة عن تاريخ الحروب الصليبية، كما ظهرت دراسات تناولت هذا الملك الصليبي مرتبة تاريخيا على النحو الآتي:

١- **هنادي السيد محمود إمام، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨م/ ٤٩٤-٥١٢هـ)** ، **٢٠٠٨م.** تناولت عهد بلدوين الأول من خلال محورين، وقد أفادت الدراسة من خلال المحور الأول الذي تناول "سياسة بلدوين الأول تجاه الساحل الشامي وحملته على مصر".

2- **John Francis Lowe, Baldwin I of Jerusalem: Defender of the Latin Kingdom of Jerusalem, A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts in History, Portland State University, 2013.**

وقد استهل جون فرانسيس لوي John Francis Lowe ملخصه لأطروحته للماجستير بوجهة نظره بأن عهد الملك بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨) لم يحظَ إلا بالقليل من الاهتمام على الرغم من كونه فترة محورية هامة اعقبت الحملة الصليبية الأولى، ولما شهد عقدين من حكمه من امتداد السيطرة اللاتينية في الشرق، وأبرزها غزو المدن

الساحلية الهامة، ودوره في إنشاء قوى السيطرة العلمانية على السلطات الكنسية، وأنه قدم نموذجًا للإدارة للملوك اللاحقين. وبالرغم من أنه لم يشير في الملخص لحملة بلدوين على مصر، إلا أنه في الفصل الذي خصصه للحديث عن الملك بلدوين الأول بوصفه "الملك المحارب" أشار بإيجاز في نهايته عن الحملة على مصر محاولًا تفسير الهدف منها وقد ربط بين نهايتها ووفاته فقط.

إلا أنه من المثير للانتباه أنه عندما وضع فرضية "ماذا لو" أن (بلدوين الأول) عاش عشر سنوات أخرى، ذكر: "ربما كانت مصر الفاطمية كذلك أطيح بها من قبل السيد الأعلى اللاتيني الجديد، وستكون طبيعة تاريخ الحروب الصليبية تم تغييرها بشكل كبير". وربما كانت هذه الفرضية دليل على أهمية البحث وضرورة التركيز على هذه الحملة[1].

٣- **دراسة طلب صبار محل وفواز نصرت توفيق، التي جاءت بعنوان "بلدوين الأول وتوجهاته السياسية والاقتصادية نحو مصر ٤٩٤-٥١٢هـ/ ١١٠٠-١١١٨م"، ٢٠١٤ م** . أوضحت توجهات الملك بلدوين الأول ودوافعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية للسيطرة على مصر، وأفادت الدراسة في استعراضها لسياسة الملك بلدوين الأول في تأمين المناطق الجنوبية والشرقية والشمالية قبل قيامه بحملته وتحليله لما أسفرت عنه الحملة من نتائج بشكل عام.

وهكذا تناولت كل هذه الدراسات السابقة حملة بلدوين الأول على الفرما بإيجاز، ودون مقابلة المصادر اللاتينية والعربية والأرمينية فيما يخص تقدير القوات وخط سير الحملة وحجم المقاومة للحملة والآراء حول سبب وفاة الملك أمام الفرما وهو ما حاولت هذه الدراسة القيام به وتفسيره في ضوء الواقع التاريخي.

وجاء البحث في النقاط الآتية: أولاً التعريف بالمسميات التاريخية للمدينة، ثم تحديد الموقع الجغرافي لمدينة الفرما في ضوء المصادر الجغرافية لإيضاح أهمية موقعها لمصر في العصور الوسطى، ثم مطالعة الوصف اللاتيني للمدينة لتوضيح أدراك

1) John Francis Lowe, Baldwin I of Jerusalem: Defender of the Latin Kingdom of Jerusalem, A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts in History, Thesis Committee: John Ott, Chair Thomas Luckett Brian Turner Anne Mc Clanan, Portland State University, 2013, p. 53.

الصليبيين للأهمية الاستراتيجية والاقتصادية للمدينة، ثانيًا التعريف بالملك الصليبي بلدوين الأول، ثالثًا وصف أحداث الحملة من خلال مقابلة المصادر اللاتينية ثم عرض الرواية الأرمينية والإسلامية لأحداث الحملة مع تفسير ما اتسم به بعضها من إسهاب أو إيجاز، ورابعًا تحديد أبرز نتائج الدراسة.

عرفت الفرما باليونانية بيلوزيوم Pelousion وبالقبطي Peremoun وسميت بالفرما في العصر الإسلامي؛ ووردت الفرماء أو تل الفرما – وكانت مدينة محصنة– وذكر اسمها في الحروب التي دارت في العصر الروماني، وعند الفتح الإسلامي لمصر(١)، وفي الفترة التاريخية موضوع الدراسة وردت على سبيل المثال في الأصل اللاتيني لكتاب ألبرت الآيكسي Albert of Aachen(٢) باسم " Pharamia" (٣) وفي الترجمة الإنجليزية لذات الكتاب باسم " Farama "(٤).

فأما الموقع الجغرافي للفَرمَا في العصور الوسطى فقد ذكره أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة (المتوفى في حدود ٩١٢ م/ ٣٠٠ هـ) بأنه في الطريق من الرملة إلى الفسطاط: "من الرملة إلى أزدود اثنا عشر ميلا، ثم إلى غزّة عشرون ميلا، ثم إلى رفح ستّة عشر ميلا، ثم إلى العريش أربعة وعشرون ميلا في رمل، ثم إلى الورّادة ثمانية عشر ميلا، ثم إلى الثعامة ثمانية عشر ميلا، ثم إلى العذيب في رمل عشرون ميلا، ثم إلى الفرما أربعة وعشرون ميلا، قال المأمون لليلك كان بالميدان أقصر منه بالفرما غريب في قرى مصر يقاسي الهمّ والسّدما ثم إلى جرجير ثلاثون ميلا، ثم إلى الغاضرة أربعة وعشرون ميلا، ثم إلى مسجد قضاعة ثمانية عشر ميلا، ثم إلى بلبيس واحد وعشرون

---

١) عبد الرحيم ريحان بركات، "الحصون الرومانية والبيزنطية بسيناء ورشيد والإسكندرية فى ضوء الاكتشافات الأثرية"، *أعمال المؤتمر التاسع عشر للإتحاد العام للآثاريين العرب : دراسات في آثار الوطن العربي*، ٢٠١٦، ص ٥٣٦.

(٢) ألبرت الآيكسي Albert of Aachen : لا يعرف على وجه التحديد الاسم الحقيقي لهذا المؤرخ، كما أن المصادر لم تشر إلى تاريخ ولادته أو وفاته، وكل ما هو متاح عنه أنه كان كاهنا وأمينا لخزينة مدينة أكس لاشبل Aix la Chappell في ألمانيا في منتصف القرن الثاني عشر. انظر: جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١)، ص ١١-١٣؛ قاسم عبده قاسم، الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق، (القاهرة: دار عين، ٢٠٠١)، ص ٩٩.

3) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitiana: History of the Journey to Jerusalem, edited and translated by Susan B., Edgington (Oxford, 2007), p. 862.

4) Albert of Aachen, History of the Journey to Jerusalem, p. 863.

ميلا، ثم إلى الفسطاط مدينة مصر أربعة وعشرون ميلا"[١]. وكتب ياقوت الحموي عن موقعها: "وهي مدينة قديمة بين العريش والفسطاط قرب قطية وشرقي تنيس على ساحل البحر على يمين القاصد لمصر، وبينها وبين بحر القلزم المتصل ببحر الهند أربعة أيام وهو أقرب موضع بين البحرين بحر المغرب وبحر المشرق"[٢].

وجاء في نزهة المشتاق عن الفرما أنه: "من أراد المسير من دمسيس إلى تنيس على النيل، نزل في النيل إلى منية بدر نحو ميلين ومنها يخرج خليج شنشا في الجهة الشرقية فيمر إلى مدينة شنشا وهي مدينة حسنة كثيرة الأشجار والمزارع وبها معاصير

---

١) ابن خرداذبة (القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف، المتوفى: نحو ٢٨٠هـ)، المسالك والممالك، ج١ (بيروت: دار صادر، 1889)، ص٨٠- ٨١.

٢) " مدينة الفرما" كما ذكرها ياقوت الحموي: "بالتحريك، والقصر، في الإقليم الثالث، طولها من جهة المغرب أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة ونصف، وهو اسم عجمي أحسبه يونانيّا ويشركه من العربية وقد يمدّ، إن الفرم شيء تعالج به المرأة قبلها ليضيّق، ومنه يقال: يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب، وقيل: هو الخرق التي تستدّ بها إذا حاضت، وأفرمت الحوض: ملأته في لغة هذيل، قال أبو بكر محمد بن موسى: الفرما مدينة على الساحل من ناحية مصر، ينسب إليها أبو علي الحسين بن محمد بن هارون بن يحيى بن يزيد الفرمي، قيل إنه من موالي شرحبيل بن حسنة، حدث عن أحمد بن داود المكي ويحيى بن أيوب العلّاف، مات في سنة ٣٣٤، وقال الحسن بن محمد المهلّبي: وأما الفرما فحصن على ضفّة البحر لطيف لكنه فاسد الهواء وخمه لأنه من كل جهة حوله سباخ تتوحّل فلا تكاد تنضب صيفا ولا شتاء، وليس بها زرع ولا ماء يشرب إلا ماء المطر فإنه يخزن في الجباب ويخزنون أيضا ماء النيل يحمل إليهم في المراكب من تنّيس، وبظاهرها في الرمل ماء يقال له العذيب ومياه غيره في آبار بعيدة الرشاء وملحة تنزل عليها القوافل والعساكر، وأهلها نحاف الأجسام متغيّر والألوان، وهم من القبط وبعضهم من العرب من بني جرى وسائر جذام، وأكثر متاجرهم في النوى والشعير والعلف لكثرة اجتياز القوافل بهم، ولهم بظاهر مدينتهم نخل كثير له رطب فائق وتمر حسن يجهّز إلى كل بلد.

وذكر أهل السير: كان الفرما والإسكندر أخوين، بنى كل واحد منهما مدينة، فقال الإسكندر: قد بنيت مدينة إلى الله فقيرة وعن الناس غنيّة، فبقيت بهجتها ونضرتها إلى اليوم، وقال الفرما: قد بنيت مدينة إلى الناس فقيرة وعن الله غنية، فلا يمرّ يوم إلا وفيها شيء ينهدم حتى إنه في زماننا هذا لا يعرف أحد أثر بنائها لأنها خربت وسفت عليها الرمال، وهي مدينة قديمة بين العريش والفسطاط قرب قطية وشرقي تنيس على ساحل البحر على يمين القاصد لمصر، وبينها وبين بحر القلزم المتصل ببحر الهند أربعة أيام وهو أقرب موضع بين البحرين بحر المغرب وبحر المشرق وهي كثيرة العجائب غريبة الآثار، ذكر أهل مصر أنه كان فيها طريق إلى جزيرة قبرس في البرّ فغلب عليها ماء البحر، وكان بها مقطع الرخام الأبلق فغلب عليه البحر أيضا، وكان مقطع الرخام الأبيض بلوينة غربي الإسكندرية، وقال ابن قديد: كان أحمد بن المدبر قد أراد هدم= أبواب الفرما وكانت من حجارة شرقي حصن الفرما فخرج أهل الفرما ومنعوه من ذلك وقالوا: إن هذه الأبواب التي ذكرت في كتاب الله، قال يعقوب لبنيه: يا بنيّ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة، فتركها، ونخلها كان من العجب فإنه كان يتمر حين ينقطع البسر والرطب من سائر البلدان فإنه يبتدئ حين يأتي كوانين فلا ينقطع أربعة أشهر حتى يجيء البلح في الربيع في غيرها من البلاد ولا يوجد هذا بالبصرة ولا غيرها، ويكون في بسرها ما تزن البسرة قريبا من عشرين درهما ... وفتحها عمرو بن العاص عنوة في سنة ١٨ في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وقد ذكرها أبو نواس في قصيدته التي مدح فيها الخصيب فقال: وأصبحن قد فوّزن عن نهر فطرس، ... وهنّ عن البيت المقدس زور طوالب بالرّكبان غزّة هاشم ... وبالفرما من حاجهنّ شقور ولما أتت فسطاط مصر أجارها ... على ركبها، ألّا تزال، مجير من لقوم بسّام كأنّ جبينه ... سنا الصّبح يسري ضوؤه فينير وينسب إليها أبو علي الحسين بن محمد بن هارون بن يحيى الفرمي، حدّث عن أحمد بن داود المكي، وكان ثقة، توفي سنة ٣٣٤ في ذي القعدة". ياقوت الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الملقب بشهاب الدين، ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م)، معجم البلدان، ج ٤ (بيروت: دار أحياء التراث العربي، ١٩٧٩)، ص ٢٥٥-٢٥٦ .

لقصب السكر وخيرات شاملة وينحدر منها إلى مدينة البوهات في الشرقي أربعة وعشرون ميلا وهي مدينة عامرة ذات أسواق ومنافع جمة وعليها سور قديم مبني بالصخر ومنها إلى سفناس ثمانية عشر ميلا وهي مدينة متحضرة صغيرة، ومنها إلى جهة الغرب في البر إلى مدينة طناح التي على خليج تنيس في الضفة الشرقية منه خمسة وعشرون ميلا، ثم إلى بحيرة الزار وهي على مقربة من الفرما. وبحيرة الزار متصلة ببحيرة تنيس وبينها وبين البحر الملح ثلاثة أميال وهذه البحيرة التي ذكرناها بحيرة كبيرة واسعة القطر وفيها من الجزائر غير مدينة تنيس جزيرة حصن الماء وهي مما يلي ناحية الفرما..."[١] والطريق من مصر إلى الفرما، ومن مصر إلى بلبيس مرحلة وإلى فاقوس مرحلة، وهي مدينة ثم إلى جرجير مرحلة وسنذكر حال الفرما بعد هذا إن شاء الله تعالى..."[٢]، وبين القلزم ومصر تسعون ميلا وكذلك من القلزم إلى الفرما في البر مما يلي الشمال سبع مراحل وهو ما بين البحر القلزمي والبحر الشامي من المسافة وما بينهما يسمى فحص التيه، وهناك تاهت بنو إسرائيل في زمن موسى عليه السلام[٣]".

يمكن الاطلاع على الوصف اللاتيني لمدينة الفرما تحديدا؛ من خلال ما كتبه وليم الصوري William of Tyre: "والفرما مدينة قديمة على ساحل البحر، ولا تبعد كثيرا عن أحد فرعي النيل المسمى بفرع دمياط الذي تقع على مصبه مدينة أخرى أقدم منها تسمى تنيس"[٤]، وقد قال جاك الفيتري عنها: "تعتبر الفرما مدينة قديمة جدًا، تقع على شاطيء البحر، ليس بعيدًا عن مصب نهر النيل، حيث يدخل الإنسان إلى مصر"[٥].

ولا بد أولاً من الإشارة إلى مكانة الملك بلدوين الأول بين ملوك المملكة الصليبية في الشرق[٦]، فقد كان بلدوين الأول الأقدر والأكثر دهاء بين قادة الحملة الصليبية

---

١) الشريف الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي المتوفى: ٥٦٠هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأول، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٢)، ص ٣٣٥-٣٣٦.

٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٣٤٦.

٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٣٤٨.

٤) الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ٣٢٩.

٥) جاك الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ترجمة/ سعيد البيشاوي، (عمان: دار الشروق، ١٩٩٨م)، ص ٤٣-٤٤.

٦) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٣٤٤ ؛ محمد مؤنس عوض، " بلدوين الأول ١١٠٠-١١١٨ م وصلاح الدين الأيوبي ١١٧١-١١٩٣م ملك وسلطان من عصر الحروب الصليبية " *مجلة الشرق الأوسط - مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس* مصر العدد ٢٤ (مارس ٢٠٠٩)، ص ١١؛ رنية غروسية، موجز

الأولى، فقد أسس الإمارة اللاتينية الأولى في الشرق، وهي إمارة الرها. وهو على أرض الواقع مؤسس مملكة بيت المقدس وحاكمها لمدة ثمانية عشر عامًا، كما أسهم في الاستيلاء على مدينة طرابلس، وفي تأسيس الإمارة الرابعة والأخيرة وهي إمارة طرابلس.

وبوصفه خليفة لجودفري Godfrey of Bouillon (١٠٩٩-١١٠٠م) في حكم بيت المقدس، فقد تسلم دولة ضعيفة ممزقة في وضع اقتصادي مدمَّر، لم يكن يسيطر إلا على ميناء واحد وهو يافا، ولكن عند وفاته كانت سيطرته قد امتدت على طول الساحل ما عدا صور وعسقلان، كما وسع ممتلكاته الخاصة. وقد حافظ على التجارة مع السكان المسلمين الذين قدم لمحاربتهم واعتمد على الضرائب الجمركية[١]، ولكونه كان ملكًا فقد كان

له عائدات مالية ضئيلة من الفداء[٢]، أو الغنائم بشكل عام[٣]، بل ولجأ إلى زواج سياسي عاد عليه بالفائدة[٤].

تاريخ الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي وشرقي حوض المتوسط، ترجمة/ أحمد أيبش، (أبو ظبي: ٢٠١٤)، ص ٤٧-٥٢.

١) هارولد فنك، "تأسيس الأمارات الصليبية ١٠٩٩-١١١٨م"ترجمة/عامر نجيب موسى ناصر، ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية إشراف كينيث سيتون (عمان، الأردن: دار الشروق،٢٠٠٤)، ص ٩٦-٩٧؛ انظر أيضا: محمد سامي أحمد أمطير، الحياة الاقتصادية في بيت المقدس وجوارها في فترة الحروب الصليبية، ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، (فلسطين : ٢٠١٠)، ص ١٢٦ .

٢) ومن الموارد المالية التي تمكن الملوك من خلالها من الحصول على الأموال هي الفديات التي كان يدفعها الأسرى مقابل الحصول على حرياتهم، فمثلاً حصل الملك بلدوين الأول سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠١ م على خمسين ألف بيزنت مقابل إطلاق خمسة وأربعين أسيراً دمشقياً، وهو الأمر الذي كان يضعه بلدوين الأول في حساباته كما يتضح من رواية فوشيه الشارتري عند الاستيلاء على مدينة قيسارية، فقد "أبقى الملك على حياة أمير المدينة وقاضيها من أجل الحصول على فدية لها" فوشيه الشارتري، الاستيطان الصليبي في فلسطين تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥-١١٢٧م، ترجمة/ قاسم عبده قاسم، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠١)، ص ١٧١.

٣) ومعنى ذلك أنه كان للفرسان نصيب معلوم من هذه الغنائم وعلى أساس قواعد منذ عهد الملك بلدوين الأول والتي أصبحت مستمرة في عهد الملك بلدوين الثاني هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن مهمة توزيع الغنائم هي مسئولية الملك – وهو الفارس الأول بين أقرانه - أو من ينوب عنه مثلما أشار ابن جبير في عهد الملك بلدوين الرابع إلى أمير طرابلس قائلاً: "وحاجبه وصاحب الحال عوضه خاله القومس، وإليه ترفع الأموال. ابن جبير الكناني (أبو الحسين محمد ت ٦١٥هـ/ ١٢١٨م)، رحلة ابن جبير، ضبطه ووضع فهارسه / محمد زينهم (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٢)، ص٢٤٥؛ أيضا أنظر محمد عبد الرحيم الطشاني، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام، ماجستير، جامعة (بنغازي:٢٠١٢)، ص ٢٣-٢٤.

٤) فقد تقدم للزواج من أديليدا أرملة روجر حاكم صقلية، وقد جاءت مع أسطول يتكون من تسع مراكب وألف محارب وكنوز عظيمة وكميات كبيرة من الأسلحة والمؤن، وقد اتفق أنه في حالة وفاة بلدوين بدون وريث يصبح ابنها روجر ملكاً لمملكة بيت المقدس، ولكنه عندما ظن بأنه= -=على وشك الموت حاول إصلاح خطأه وتخلص من أديليدا وطلقها بذريعة أنه وهي متقاربين في العصب وأرسلها إلى وطنها في سنة ١١١٧ م، لكن المهم أن أموالها قد أفادته في حل المشاكل التي واجهته. عمر كمال توفيق، مملكة بيت المقدس الصليبية، (الإسكندرية: مطبعة رويال، ١٩٥٨)، ص ٨٨ – ٨٩.

كان بلدوين الأول محاربا حتى آخر لحظة في حياته، ففي عهده اتضحت معالم النظام الإقطاعي الصليبي بشكل كبير، خاصة بعد سقوط المزيد من الأراضي في يد الصليبيين، واستمر بلدوين الأول في إضافة الكثير من الأراضي إلى مملكته من أجل إعادة توزيعها باعتبارها إقطاعات على الأمراء والنبلاء، فنجح في غزو أرسوف وقيسارية عام ١١٠١م/ ٤٩٤هـ ، كذلك نجح في غزو عكا وما حولها وضمها إلى المملكة اللاتينية في العام ١١٠٤م/ ٤٩٨هـ. وفي عام ١١١٠م/٥٠٣هـ استكمل بلدوين الأول جهوده لتوسيع رقعة الكيان الصليبي، فاستولى على بيروت وصيدا. ونتيجة لانتصارات الملك بلدوين الأول الحربية، سيطر الصليبيون على المنطقة الممتدة من بيروت في الشمال إلى بئر سبع في الجنوب، بالإضافة إلى المعاقل والحصون التي تقع جنوب شرق نهر الأردن والتي تتحكم في طريق المرور بين الشام والأردن وشبه الجزيرة العربية(١).

ونظرا لأن هذه الحملة ارتبطت بالملك بلدوين الأول فلا بد أن تأتي في صدارة المصادر مصدر فوشيه الشارتري Fulcher of Chartres (٢) قسيس الملك بلدوين. وهنا يأتي ذكر الفرما وحملة الملك بلدوين على مصر تحت عنوان اختاره فوشيه؛ فبدلا عن الإشارة لحملته على مصر اختار عنوانًا آخر وهو "موت الملك بلدوين الأول" ليحدد نهاية شهر مارس لهجوم الملك على مدينة الفرما ويصف تجوله قرب الفرع الشرقي القديم البيلوزي لنهر النيل وهو شرقي فرع دمياط الحالي، والذي قد اندثر ولا وجود له الآن. ولا يفوته في هذا الإطار الحديث عن النهر "الذي سماه الأغريق نهر النيل وسماه العبرانيون جيحون"، ثم وصف استخدام بعض الفرسان لحرابهم بمهارة في صيد الأسماك(٣)، وانتهت رواية فوشيه لحملة الملك بلدوين حول الفرما بموته فقال: بعدما أكلوا السمك "عاودت الملك آلام جرح قديم وانتابه ضعف شديد"(٤).

---

١) حاتم عبد الرحمن الطحاوي، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، (القاهرة : دار عين، ١٩٩٩م)، ص ٣٠-٣١.

٢) ولد فوشيه الشارتري: بمدينة شارتر بفرنسا في سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٩م، وهو رجل من رجال الكنيسة، وقد رافق الحملة الصليبية الأولى من شارتر في فرنسا، فقدم إلى الشرق مع جيش روبرت كونت نورماندیا وستيفن كونت بلوا وشارتر، ثم انفصل عن الجيش الصليبي الرئيسي قبل الاستيلاء على مدينة أنطاكية؛ حيث لازم بلدوين شقيق جودفري البوايوني في فترة توليه إمارة الرها، كما اصطحبه بلدوين عندما استدعى لتتويجه ملكا على بيت المقدس بعد موت جودفري، وظل ملازما له حتى وفاته عام ٥١٢ هـ/ ١١١٨م، ثم مكث فوشيه الشارتري في بيت المقدس حتى عام ٥٢١ هـ/ ١١٢٧ م، ولمزيد من الإيضاح انظر: فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، مقدمة المترجم ص ١٧، ٢٣؛ جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ص ٧- ١١.

٣) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص ٢٣٤.

٤) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص ٢٣٤.

وهنا تبدو رواية فوشيه موجزة وهي من الروايات المعاصرة للحدث إذا ما قورنت برواية ألبرت الآيكسي، والذي نعرف أنه لم يأتِ للشرق، وكتب روايته عن هذه الأحداث وهو في الغرب(١)، أو رواية وليم الصوري (٢) والذي لم يقف على مسرح الأحداث موقف المعاصر إلا من عام ١١٦٢م.

ويمكن تفسير الإيجاز لدى فوشيه بأن موقف فوشيه تجاه سيده بلدوين مثير للغاية؛ فعندما هُزِم بلدوين الأول عند الصنبره ١١١٣م/ ٥٠٧هـ ، وجه فوشيه اللوم إليه، ولم يكن راضيا عن زواج بلدوين من أديلاد الصقلية. ويبدو أنه في ذلك الوقت كان مؤلفنا قد تباعد عن سيده، والذي من الواضح أنه لم يرافق بلدوين في رحلته التي لقي فيها حتفه في الفرما على أطراف دلتا مصر(٣)، وربما عرف أخبار هذه الحملة ممن شاركوا فيها(٤).

وتظهر الرواية الأكثر تفصيلا لدى ألبرت الآيكسي ووليم الصوري، فذكر ألبرت الآيكسي "أن الملك سار على رأس جيشه مجتازا الطريق البري الصحراوي، وظل في المسير أحد عشر يوما، حتى أبصروا نهر النيل الذي غمر أراضي مصر، ونزل الملك وجنوده وسبحوا فيه... ثم تابعوا السير ووصلوا في شهر مارس (١١١٨م)، ووصلوا داخل الإقليم عند مدينة تسمى Farama المحصنة بأسوار واستحكامات وأبواب قوية، وهي المدينة الأكثر امتدادا في أقليم مصر فلا تستغرق الرحلة للقاهرة أكثر من ثلاثة أيام. وفي اليوم التالي يوم الجمعة عبأ الملك جيشه وقسمه صفوفًا وارتدوا الدروع والخوذات وهاجموا المدينة، والتي كانت خالية من المدافعين ودخلوا من الأبواب المفتوحة بقوة. وهناك وجدوا

---

١) فقد جمع مادته التاريخية التي تحكي قصة الحملة الصليبية الأولى ومملكة بيت المقدس اللاتينية حتى سنة ١١٢٠م من شهود العيان ومن المصادر الأدبية الأخرى. قاسم عبده قاسم، نصوص ووثائق، ص ٩٩.

(٢) وليم الصوري: ولد في مملكة بيت المقدس حوالي عام ١١٣٠ م/ ٥٢٥ هـ، وتلقى تعليمه في بيت المقدس, ثم التحق بالوظائف الكنسية إلى أن أصبح عام ١١٦١م/٥٦٦هـ أحد رجال الدين التابعين لرئيس أساقفة صور، وبعد ذلك بقليل سافر إلى أوروبا ليواصل تعليمه هناك، ولقد أتيحت له - بحكم المناصب العديدة التي شغلها - فرصة طيبة لمعرفة بواطن الأمور في الإمارات الصليبية، وساعده على ذلك إلمامه ببعض اللغات كالعربية والفرنسية القديمة واليونانية والفارسية والعبرية فضلا عن لغته الأصلية وهي اللاتينية، وتاريخ وفاته غير معروف وإن كان يرجح أنه حدث بين عامي ٥٨٠-٥٨٣ هـ/ ١١٨٤-١١٨٧م؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج ١، مقدمة المترجم، ص٩- ٤٣؛ بيريل سمالى، المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة/ قاسم عبده قاسم (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١،ط٢)، ص ١٤٣- ١٤٨؛ عمر كمال توفيق، "المؤرخ وليم الصوري" *مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية* العدد ٢١ (١٩٦٨)، ص٢٠٠- ٢٠٤؛ إبراهيم خميس إبراهيم، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية - الداوية، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية،٢٠٠٢)، ص ١٠-١١.

٣) فوشيه الشارتري ، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، تقديم، ص ٣٤.

٤) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، تقديم، ص ٦١؛ فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، تقديم، ص ٥٨.

إمدادات ضرورية لا تصدق من[1] الخمور والحبوب والزيت، وبالكاد اللحوم والأسماك وكل شيء يمكن أن يؤكل. كما وجدوا الذهب والفضة بلا حدود. ففي الحقيقة كان كل سكان المدينة عندما سمعوا بأن اقتراب الملك بات وشيكا عقدوا العزم على الهروب ونسوا الدفاع تاركين وراءهم أملاكهم وانسحبوا على بعد من المدينة مهتمين بسلامتهم وأرواحهم. وانعش الملك وجنوده أنفسهم من خلال الماء والطعام الوفير الذي وجدوه في المدينة، وارتاحوا من مشاق السفر الطويل أيام الجمعة والسبت والأحد فلم يشنوا أي هجوم، وقاموا بكل شيء وفقا لرغباتهم. وفي يوم الأحد جاء الرجال العقلاء المعنيون بسلامتهم للملك وقالوا له الآتي: "نحن قليلو العدد، وقد عرف الناس في مملكة مصر بقوتنا "العددية" والقاهرة لا تبعد عن هنا سوى مسيرة ثلاثة أيام. لذا تشاورنا وقررنا وجوب مغادرة المدينة ومواصلة الرحلة كما تعاهدنا، وعدم البقاء في هذا المكان". وكان الملك قد نزل على نصيحة رجاله، وحثَّ رفاقه على هدم أسوار المدينة المهملة، وأشعل النيران في كل البنايات من أبراج ومنازل، وبذل اهتمام بالغ بكل طاقته أكثر من أي شخص لتدمير المدينة، وذلك حتى تصبح غير قادرة على الإمداد بالقوات ومساعدة المصريين بعد ذلك. وقيل أنه بينما كان الملك يعمل بنشاط وحماس أكثر من أي شخص في ذلك التدمير هدمًا للأسوار وحرقا للبنايات، هاجم المرض جسده، الذي اضطرب من جراء الحرارة والمجهود"[2].

أما مؤرخ المملكة وليم الصوري فذكر أن الجيش الذي هاجم به مصر كان "جيشا كبيرا" وأخذ يفسر سبب الحملة بأنها "انتقامًا من المصريين لكثرة ما أنزلوه به من المصائب" فقد واجه الفاطميون بالفعل الصليبيين في الفترة من عام ١١٠٠–١١٠٥م / ٤٩٤– ٤٩٨هـ وكلل الفاطميون جهودهم بالحملة الفاطمية السلجوقية المشتركة[3]، ثم ما تبع ذلك من صراع بين الفاطميين والصليبيين حول مدن الساحل الشامي الفاطمية[4].

ثم ذكر غارة الصليبيين العنيفة على مدينة الفرما التي استولوا فيها على المدينة، "وتنازل عن كل ما وجده فيها من الميرة إلى رفاقه الحربيين، وأذن لهم باستباحتها". ثم

1) Albert of Aachen, History of the Journey to Jerusalem, P.863.

2) Albert of Aachen, History of the Journey to Jerusalem, P.865.

٣) أنا كومنينا، ألكسياد، ترجمة/ حسن حبشي (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م)، ص ٤٣٧؛ صلاح الدين محمد نوار، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي (٤٩٠- ٥١٥ هـ/ ١٠٩٧- ١١٢١ م) أضواء على الحروب الصليبية، (الإسكندرية : دار الدعوة،١٩٩٣)، ص ١٨٧-٢٢٨.

٤) صلاح الدين محمد نوار، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي، ص ٢٣١- ٣١٠.

توقف وليم الصوري ليسجل بعض المعلومات عن مدينة الفرما الذي أوضح لقرائه من اللاتين في البداية أنها "ذات تاريخ موغل في القدم"(١) ثم استطرد كعادته في كتابه عند ذكر المدن(٢) وأخبر فقال: "فلما تم للملك الاستيلاء عليها، مضى فزار مصب النيل ليتملى بصره إعجابا بمياهه التي لم يكن قد رآها قط من قبل، وكان لهذا الأمر أهميته الكبرى عنده لأنه لم يكن قد رأى النيل وهو يصب بعض مائه في البحر عبر هذا الفرع، والقول السائد الذي ينزل منزلة العقيدة عند الناس هو أن هذا النيل أحد أربعة أنهار تنبع من الجنة". وهنا ظهر انبهار وليم الصوري بالموقع الذي صوره في نفوس الصليبيين بالقرب من مدينة الفرما يأتي من ارتباطها بالنيل الذي تردد ذكره كثيرا في مصادر اللاتين، وصاغوا حوله العديد من الأساطير(٣).

وأكمل وليم الصوري قائلا: "فاصطاد الملك ومن معه من هذا الخليج بعض السمك الذي يكثر به كثرة هائلة. وبعد أن تم له ولهم ما أرادوه عادوا أدراجهم إلى المدينة التي استولوا عليها وجهزوا له إفطاره من السمك الذي اصطادوه له، لكنه ما كاد ينهض من مائدة إفطاره حتى أحس باضطراب داخلي شديد، وبمغص ممض في بطنه، كما عاوده الألم من جرح قديم كان به فأنهك قواه إنهاكا خطيرا أيأسه ومن معه من البقاء حيا"(٤).

وإذا كانت المصادر اللاتينية قد أفاضت في رواية حملة الملك بلدوين الأول Baldwin I على مصر فإننا نجد اختلافًا في المصادر الأرمينية والإسلامية، فبين رواية متى الرهاوي(٥) وبعض الروايات الإسلامية نجد قاسمًا مشتركا، فكلاهما اقتضبا في الرواية ولم يشيرا إلى المدينة تحديدًا فقد اكتفى الرهاوي بتحديد الزمان وهو وقت الصيام الكبير، وتحديد الهدف وهو إخضاع مصر، ونتيجة الحملة مباشرة بعدم وجود مقاومة – وهو ما

١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ٣٢٨-٣٢٩.
٢) فمثلا وصف اللاذقية وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ٥٠؛ وصف مدينة صور وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ٦٤؛ بيت المقدس وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ٨٤-٨٥.
٣) شغل نهر النيل أذهان الباحثين منذ العصر القديم؛ وهناك العديد من الأساطير حول فيضان النيل، فأحد المؤرخين اللاتين عصر الحروب الصليبية أضاف رواية حول إيمان المصريين بالقوة الطاغية للخليفة الفاطمي مما جعلهم يقولون: "إن النيل يفيض بأمره إذ يفيض" المؤرخ المجهول، الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) ج١، ترجمة/ حسن حبشي، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب،٢٠٠٠)، ص٣٠.
٤) الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ٣٢٩.
٥) فايز نجيب إسكندر، "متى الرهاوي والحملة الصليبية الأولى ١٠٩٥-١٠٩٩/٤٨٨-٤٩٢هـ " ضمن كتاب تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، (المنصورة : المكتبة العلمية)، ص ص ١٥ – ٣٨.

أمكن الاستدلال عليه من الرواية اللاتينية، وأنهى حديثه بالحدث الأبرز: مرض الملك في طريق العودة ثم وفاته(١).

ومن اليسير أن نفسر الإيجاز الذي اتسمت به رواية متى الرهاوي عن مدينة الفرما والذهاب مع الرأي القائل بأن الرهاوي كان يميل إلى اختصار تفاصيل الأحداث التي تخص الصليبيين خارج المنطقة المحيطة به، ولعل ذلك يرجع لعدم توافر المصادر الموثوق بها، أو أنه كان ينأى بنفسه عن الخوض في قضايا الواقع الصليبي(٢) التي من الممكن أن تثير الفتن، وهو في النهاية يخضع لحكمهم(٣)، وفي أمر انتهى بوفاة الملك بلدوين الأول Baldwin I نفسه، وخاصة أن الواقع التاريخي أشار لصدفة عجيبة؛ ففي اللحظة التي كان فيها كونت "بلدوين دي بورج" الملك بلدوين الثاني فيما بعد يدخل مدينة بيت المقدس لزيارة الأماكن المقدسة من ناحية كان موكب نعش الملك بلدوين الأول Baldwin I يدخلها من ناحية أخرى(٤).

وظهر أيضًا الإيجاز في الحديث عن الحملة لدى الرهاوي المجهول الذي ركز في سرد الأحداث على ذهاب "بلدوين صاحب الرها للحج إلى بيت المقدس، وكان قد جمع جيشًا وزحف على رأسه إلى مصر، وعندما وصل إلى الفرما، مات هناك، وكان قبل وفاته قد أمر أن تدفن جثته في قبر أخيه غودفري، وأن يصبح بلدوين صاحب الرها ملكا لبيت المقدس"(٥)، ويتضح من الإيجاز في روايته تركيزه على هدفه وهو أخبار الرها وانعكاس الأحداث عليها دون الخوض في التفاصيل.

أما الروايات الإسلامية لهذه الحملة فعلى سبيل المثال ابن القلانسي ذكر: أنه ورده أخبار "مهلك بغدوين

١) متى الرهاوي، تاريخ متى الرهاوي (الإفرنج – الصليبيون، المسلمون، الأرمن)، ترجمة/ محمود محمد الرويضي و عبد الرحيم مصطفى، (أربد: مؤسسة حمادة للدراسات، ٢٠٠٩)، ص ٢٠٢.
٢) متى الرهاوي، تاريخ متى الرهاوي، المقدمة، ص ٢٣.
٣) تاريخ متى الرهاوي، ص ٢٠٤.
٤) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ٣٣٧.
٥) المؤرخ الرهاوي المجهول، روايات المؤرخ الرهاوي المجهول عن الحملتين الأولى والثانية، في الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٥، ترجمة سهيل زكار، (دمشق :١٩٩٥م)، ص ٣٩.

ملك الإفرنج" صاحب بيت المقدس بعلة طالت به، وكانت سبب هلاكه في ذي الحجة منها"[١].

لكن ابن الأثير زاد عليه في أنه: في "ذي الحجة من سنة إحدى عشرة وخمسمائة توفى بغدوين ملك بيت المقدس، وكان قد سار إلى ديار مصر في جمع من الفرنج، قاصدا ملكها والتغلب عليها، وقوي طمعه في الديار المصرية، وبلغ مقابل تنيس، وسبح في النيل، فانتفض جرح كان به، فلما أحس الموت عاد إلى القدس، فمات"[٢].

وبمقابلة الروايات، في البداية اضطربت المصادر الإسلامية حول تحديد تاريخ وفاة الملك بلدوين الأول ضمن أحداث عام ٥٠٨ هـ مثل ابن تغري بردي[٣]؛ بل وأبي الفدا بين أحداث ٥٠٤ هـ أو ٥١١ هـ[٤] أو بين "سنة إحدى عشرة وخمسمائة، وقيل في سنة أربعة عشرة" أو ٥١١ هـ شأن ابن المأمون[٥] والذهبي[٦] والعظيمي [٧] المعاصرين للأحداث والصواب هو ما يتفق مع المصادر اللاتينية التي تذكر تاريخ وفاة بلدوين في ٢ أبريل ١١١٨م وهو ما وافق ٨ ذو الحجة ٥١١ هـ، وهو ما أقره ابن الأثير[٨]، وما ورد

١) ابن القلانسي (أبى يعلى حمزة ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق، (بيروت: الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨)، ص ١٩٩.

٢) ابن الأثير (أبو الحسن على بن أبى الكرم الشيباني الجزري والملقب بعز الدين ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ج ٨، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت - لبنان : دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ط١)، ص ٥٣٣.

٣) وفيها هلك بغدوين الفرنجىّ صاحب القدس من جرح أصابه فى وقعة طبريّة، وأراح الله المسلمين منه، ومصيره إلى سقر. ابن تغري بردي (يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٥، (مصر: دار الكتب)، أحداث ٥٠٨ هـ، ص ٢٠٨.

٤) أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن على ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١ م)، المختصر في أخبارالبشر، ج ٢، تقديم/ حسن مؤنس، تحقيق/ محمد زينهم ويحيى سيد حسين (القاهرة: دار المعارف)، ص ٣١٧.

٥) ابن المأمون (الأمير جمال الدين أبو علي موسى بن المأمون البطائحي ت ٥٨٨هـ)، نصوص من أخبار مصر، تحقيق/ أيمن فؤاد سيد، (القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، ١٩٨٣)، ص ١٣.

٦) الذهبي (للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق / عمر عبد السلام تدمري، ج ٣٥ (لبنان: دار الكتاب العربي، ١٩٩٤م، ط١)، ص ٢٧٠.

٧) في أحداث عام أحد عشر وخمسمائة " أغار بغدوين ملك القدس على أطراف ديار مصر وعاد ومات بالقدس" العظيمي (محمد بن علي العظيمي الحلبي ت ٤٨٣- ٥٥٦هـ/ ١٠٩٠- ١١٦١م)، تاريخ حلب، تحقيق/ إبراهيم زعرور،(دمشق: ١٩٨٤)، ص ٣٦٨.

٨) " في ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ تُوُفِّيَ بَغْدُوِينُ مَلِكُ الْقُدْسِ وَكَانَ قَدْ سَارَ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ فِي جَمْعِ الْفِرِنْجِ، قَاصِدًا مُلْكَهَا وَالتَّغَلُّبَ عَلَيْهَا وَقَوِيَ طَمَعُهُ فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَبَلَغَ مَقَابِلَ تَنِّيسَ، وَسَبَحَ فِي النِّيلِ، فَانْتَقَضَ جُرْحٌ كَانَ بِهِ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِالْمَوْتِ عَادَ إِلَى الْقُدْسِ، فَمَاتَ، وَوَصَّى بِإِلَادِهِ لِلْقُمَّصِ صَاحِبِ الرُّهَا، وَهُوَ الَّذِي كَانَ أَسَرَهُ جَكَرْمِشُ، وَأَطْلَقَهُ جَاوْلِي سَقَّاوُو، وَاتَّفَقَ أَنَّ هَذَا الْقُمَّصَ كَانَ قَدْ سَارَ إِلَى الْقُدْسِ يَزُورُ بِبِعَةَ قُمَامَةَ، فَلَمَّا وَصَّى إِلَيْهِ بِالْمُلْكِ قَبِلَهُ، وَاجْتَمَعَ لَهُ الْقُدْسُ وَالرُّهَا " ابن الأثير، الكامل،ج ٨، ص ٥٣٣.

خبره لدى المقريزي في عام ٥١١ هـ أيضا[١] على الرغم من أنه في ذات المصدر سبق له الحديث عن هذه الأحداث بإسهاب ضمن أحداث عام ٥٠٩ هـ[٢].

كما أن الاختلاف بين المصادر حول بعض النقاط: يأتي في صدارتها تقدير حجم القوات الصليبية التي هاجمت الفرما[٣]: فرأى البعض أنها كانت "قوة كبيرة"[٤] مثل وليم الصوري[٥]؛ في حين رأى آخرون أنها "قوة محدودة" مثل ألبرت الآيكسي الذي ذكر: "اصطحب الملك معه مائتي وستة عشر فارسًا وأربعمائة من المشاة المدربين ذوي الخبرة الحربية فقط"[٦].

وهنا لابد من الرجوع للواقع التاريخي فتعتبر محاولة تحديد أعداد االمحاربين الصليبيين الملزمين بالخدمة العسكرية من خلال المصادر أمر شاق؛ نظرا للصعوبات العديدة كمشكلة المصطلحات[٧]. فقد كانت المصادر المعاصرة مدركة بوضوح الفروق بين الرجال المسلحين عن الآخرين من الفرسان فخطاب ادهيمار وسيمون للغرب تحدث عن الفرسان والرجال المسلحين الذين كانوا من المحتمل حاشية رسمية للحكام والفرسان الكبار[٨] لذلك فإن أفضل تقدير لأعداد الفرسان الملزمين بالخدمة العسكرية هو ما قدمه جون الإبليني[٩]. فكانت الخدمة من نوع الخدمة الملزمة تتراوح بين مئة فارس كانت تلتزم

١) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق/ محمد حلمي محمد أحمد، ج ٣، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٦)، ص ٥٦.

٢) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص ٥٣.

٣) محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة.. حملة جان دي برين على مصر ١٢١٨- ١٢٢١م/ ٦١٥- ٦١٨ هـ، (دار المعارف، ١٩٨٥)، ص ٥٥؛ صلاح الدين محمد نوار، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي، ص ٣٤١.

٤) "وصل بردويل مقدم الفرنج في عسكر عظيم إلى الفرما" ابن المقفع (الأنبا ساويرس ابن المقفع أسقف الأشمونين)، تاريخ البطاركة.. تاريخ مصر من بدايات القرن الأول الميلادي حتى نهاية القرن العشرين، تحقيق/ عبد العزيز جمال الدين، الجزء الثالث المجلد الثاني، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٦)، ص ١٢٥١.

٥) الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ٣٢٨.

6) Albert of Aachen, History of the Journey to Jerusalem P. 863.

7) France, J.: Victory in The East .A military History of The First Crusade, (Cambridge, 1994) p. 124.

8) Lamb (H.): The Crusades Iron Men and Saints (New York, 1930) p.325.

٩) فمجموع الفرسان الذين يقدمهم البارونات الإقطاعيون للمساهمة في العمليات الحربية في مملكة بيت المقدس ٥٧٧ فارسًا.

Liver des Assises de Jerusalem,IN Assises de Jérusalem ou recueil des Ouvrages de jurisprudence composés pendant le XIIIe siècle dans les royaumes de Jérusalem et de Chypre. Tome premier: Assises de la haute cour ,publiées par M. le Comte Beugnot (Paris, Imprimerier Royale), Tom I, pp. 422- 426.

حاتم عبدالرحمن الطحاوي، الاقتصاد الصليبي، ص٢٣٣- ٢٤١.

بهم أكبر ثلاث بارونيات في المملكة، وبين الخدمة الشخصية لأتباع مقطعين مفردين وكان المجموع ٦٧٥ فارسا، لكن لا بد من الوضع في الاعتبار أن تلك الإحصائية ليست معاصرة لموضوعنا، لأن إيبلين لم يكتب كتابه إلا عام ١٢٦٥م(١).

ولقد كانت المشكلة الرئيسية التي عانى منها الصليبيون هي الافتقار المزمن للقوة البشرية المناسبة(٢)، فقد كان على الصليبيين أن يظلوا أقلية في حالة حرب مستديمة(٣). ومن الممكن تفسير تقييم وليم الصوري لأعداد المشاركين في الحملة من حيث إدراكه للواقع الصليبي، كونه كان مؤرخ المملكة وأسقف مدينة صور، فهي كبيرة – طبقا لروايته – بالنسبة للقدرة التعبوية للمملكة في ذلك الوقت، أما تفسير تقدير ألبرت الآيكسي المقيم في الغرب الأوروبي للأعداد المشاركة في الحملة بأنها محدودة، فتشير لحقيقة أن الوجود الصليبي في الشرق الذي عانى دائما من النقص العددي للصليبيين(٤).

أما عن خط سير الحملة على مصر في ضوء المصادر، فقد خلت المصادر من توضيح خط سير الحملة، فلم يذكر ألبرت الآيكسي خط سير الذهاب، فقد استهل روايته "بأنه تناهى إلى أسماع الملك بلدوين الأول بأن أهل عسقلان يهاجمون طريق الحجاج للقدس، فقرر مهاجمة مصر. وأنه سار عبر الطريق البري الصحراوي"(٥) بينما ذكر في خط سير العودة أنهم ساروا بحذر في الصحراء ووصلوا به إلى سهل الخليل حيث قبور البطاركة المقدسين إبراهيم واسحاق ويعقوب، وكان جثمان الملك يحرسه من الفرسان والجنود المسلحين من اليسار واليمين، حتى وصلوا لجبال القدس في يوم عيد أحد سعف النخيل(٦).

ومثل ألبرت الآيكسي استهل وليم الصوري بأن بلدوين الأول تحرك انتقاما من المصريين لكثرة ما أنزلوه به من المصائب... ثم شن غارة عنيفة على الفرما، ولم يوضح

١) ر.س.سميل، فن الحرب عند الصليبيين، ترجمة/ محمد وليد الجلاد، (دمشق : الدراسات العسكرية، ١٩٨٥)، ص ١٥١.

٢) يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ترجمة/ عبد الحافظ البنا، (القاهرة: دار عين، ١٩٩٨)، ص ٩٣.

٣) يوشع براور، عالم الصليبيين، ترجمة/ قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨)، ص ١٢٧.

٤) للمزيد من التفاصيل حول أسباب هذا النقص وما نتج عنه انظر أميرة محمد شحاتة، دور الفرسان في مملكة بيت المقدس، (القاهرة: دار عين، ٢٠١٧م)، ص ١٤٥-١٦٩.

5) Albert of Aachen, History of the Journey to Jerusalem, P. 863.

6) Albert of Aachen, History of the Journey to Jerusalem, P. 871.

نقطة الانطلاق أو حتى الطريق، واكتفى وليم الصوري بالإشارة لخط سير العودة فقد عبروا تلك الناحية من البادية الممتدة ما بين مصر والشام حتى وصلوا إلى العريش إحدى المدن الساحلية القديمة في تلك الصحراء ... ودخلوا القدس يوم الأحد المعروف بأحد الشعانين عبر وادي يهوشافاط(١).

وكذلك فوشيه عل الرغم من أنه استطاع باقتدار تلخيص سياسة وإنجازات بلدوين الأول في مرثية مختصرة رائعة(٢)، فقد ذكر "هاجم بلدوين مدينة الفرما" دون توضيح خط سير الذهاب لهذا الهجوم، واتفق مع باقي المصادر في العودة للعريش ومنها للقدس.

وبالبحث في أسباب الحملة نجدها متنوعة فلها من الأسباب ما هو عسكري واستراتيجي، وقبل تناول الأهمية الاستراتيجية لمدينة الفرما نظرا لأن التناول يركز على الحملة الصليبية على المدينة، فأفضل بداية يمكن الإشارة إليها هي دلالة هذه الحملة في فكر الحروب الصليبية والتي تقدم خير دليل على أن السيطرة على مصر هي فكرة قديمة قدم الحروب الصليبية، ربما ترجع إلى جودفري البوايوني، فقد شاعت بعض الروايات التي تشير إلى أن جودفري البوايوني كان قد وعد عام ١١٠٠م/ ٤٩٤هـ بأن يتنازل عن بيت المقدس إلى البطريرك متى تم له فتح مدينة كبيرة أخرى وعلى الأخص القاهرة(٣)، بل أشار ريموناجيل لتفكير الصليبيين في غزو مصر قبل القدس(٤)؛ بل وتذهب بعض الأقاويل إلى أن عدداً من زعماء الحملة الصليبية الأولى برئاسة جودفري البوايوني زاروا الإسكندرية، وقد رحب الفاطميون بهم، غير أن الوفد الصليبي قصد برحلته تلك القيام بمهمة تجسسية الغرض منها معرفة أحوال القوى الإسلامية(٥).

---

١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٢٩-٣٣٠.

٢) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص ٢٣٥-٢٣٦

٣) أرنست باركر، الحروب الصليبية، ترجمة/ السيد الباز العريني (بيروت: دار النهضة العربية، ط ٤)، ٣٨؛ هنادي السيد محمود إمام، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨م/ ٤٩٤-٥١٢م)، (القاهرة : دار العالم العربي، ٢٠٠٨م)، ص ٦٦؛ طلب صبار محل - فواز نصرت توفيق، " بلدوين الأول وتوجهاته السياسية والاقتصادية نحو مصر ٤٩٤-٥١٢هـ/ ١١٠٠-١١١٨م"، *مجلة الدراسات التاريخية والحضارية*، المجلد (٦)، العدد ١٩، (نيسان ٢٠١٤ م – جمادى الآخرة ١٤٣٥ هـ)، ص ٢١٩.

٤) ريموناجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة/ حسين محمد عطية، (الإسكندرية: المعرفة الجامعية، ١٩٨٩)، ص ٢٢٥-٢٢٦؛ صفاء عثمان محمد إبراهيم، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م/ ٥١٢-٥٢٥هـ)، (القاهرة: دار العالم العربي، ٢٠٠٨)، ص ٥٤.

٥) أمجد حافظ حسين طاعة، العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين في مصر وبلاد الشام (٤٩١-٥٧٠هـ/ ١٠٩٨- ١١٧٣م)، ماجستير، (غزة: الجامعة الإسلامية، ٢٠١٢م)، ص ٨٤

ويقودنا الأمر هنا إلى تتبع موقف الفاطميين من الوجود الصليبي، فمسرح الأحداث في الشام ضم عند وصول الصليبيين ست قوى مميزة، ومشتبكة في نزاعات فيما بينها؛ هذه القوى هي: الأمراء التركمان السلاجقة، والأمراء أو القادة العسكريون الأتراك، والقبائل العربية، والأمراء العرب المحليون، والخلافة الفاطمية، والهيئة العامة من السكان(١).

أما الفاطميون الشيعة فإنهم لم يفكروا في مساعدة السلاجقة السنة ضد الصليبيين(٢)؛ وقد أثر ذلك بدوره في الموقف الذي اتخذه أمراء الشام من الصليبيين حسب ولائهم، فمثلاً جاءت مساعدات طرابلس وقيصرية للصليبيين(٣) لأنهما كانتا تخضعان اسميا للخليفة الفاطمي في القاهرة، ولم يكن لدى حاكميهما رغبة في الانحياز إلى جانب الأتراك السلاجقة الذين كانوا يؤيدون الخلافة العباسية في بغداد، وقد جعلهم قصر النظر والأنانية السياسية يظنون أن الصليبيين سوف يتركونهم في حالهم(٤).

لم يكن الفاطميون قد أخفوا سرورهم حين قدم إليهم وفد الإمبراطور الكسيوس Alexius I (١٠٨١-١١١٨م)[٥] في جمادى الأولى ٤٩٠هـ/ يونيو ١٠٩٧م يخبرهم

١) هاملتون أ.ر.جب، صلاح الدين الأيوبي ... دراسات في التاريخ الإسلامي، حررها/ يوسف ايبش (بيسان، لبنان، ١٩٩٦)، ص ٤٦.

٢) قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية (الأيدويولوجية- الدوافع- النتائج)، ص١٢٣.

٣) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص ١٤٦.

٤) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، حاشية (١)، ص ١٤٦

٥) يعد الكسيوس كومنين ١٠٨١ــ ١١١٨م مؤسس الأسرة الكومنية ١٠٨١ــ ١١٨٥م المنحدرة من أصول إغريقية، وكانت واحدة من اسر المجتمع البيزنطي ذات الشأن الكبير وذات الإقطاعيات العسكرية الكبيرة، وقد عاصر الإمبراطور الكسيوس مقدمات وأحداث الحملة الصليبية الأولى. رأى بعض المؤرخين الغربيين المحدثين: أن الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين كان مسئولا عن قيام الحركة الصليبية؛ ويستدلون على ذلك من خطاب يقال إنه أرسله حوالي عام ١٠٨٨ م إلى روبرت أمير الأراضي الواطئة، يستحثه فيه على إيفاد النجدات إلى القسطنطينية لدفع الخطر السلجوقي عنها، ثم التوجه بعد ذلك للاستيلاء على الأراضي المقدسة. وهو الخطاب المذكور لدى جيوبرت النوجنتي، ورأي هذا الفريق إن لم يكن الخطاب الذي بيننا هو الخطاب الأصلي الصادر عن الإمبراطور، فهو على الأقل صورة أخرى منه تتضمن نفس المعاني والأفكار، أما الفريق المعارض فينفي نفيًا قاطعًا صدور هذا الخطاب عن الإمبراطور البيزنطي؛ وتلخص رأيهم في: أولاً: لايوجد أي أصل إغريقي لهذا الخطاب، ثانيًا: الأسلوب والطريقة التي دون بها الخطاب لا يتفقان مع العادات والتقاليد المتبعة في ديوان الإنشاء في الدولة البيزنطية حينذاك، ثالثًا: لم يشر المؤرخون المعاصرون لبداية الحركة الصليبية إلى طلب ألكسيوس المساعدة من أهل الغرب للقيام بحرب مقدسة في الشرق العربي، ولا نجد مثل هذه الأسطورة إلا في كتب بعض المؤرخين اللاتين المتأخرين نسبيًا، أو الذين لم يكونوا شهودًا عيانًا على أحداثها من والخلاصة أن الخطاب المذكور لا يقوم على أساس علمي سليم. جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ص ٥٢- ٥٤؛ محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ..مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي (الإسكندرية: المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠)، ص ٢٥٦-٢٦٩؛؛ قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية الإيدويولوجية- الدوافع- النتائج، ص ٩٦؛ علاء أبو الحسن إسماعيل و بديع محمد إبراهيم، "صراع المصالح بين الصليبيين والبيزنطيين في عهد

بوصول حشود الفرسان الصليبيين إلى القسطنطينية وبداية هجومهم على آسيا الصغرى، وقد نقل الأفضل وزير المستعلي الفاطمي إلى الإمبراطور تمنياته بالنجاح، وطلب أن يكون – بوصفه صديقاً– على علم بأخبار تقدم الحملة(١).

ومن الآراء التي أُثيرت حول علاقة الفاطميين بالصليبيين، الرأي القائل بأن الفاطميين كانوا يرغبون في مشاركة اللاتين ضد أعدائهم من الأترك؛ وأن الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنينAlexius I (١٠٨١–١١١٨م) كان ميالاً للفاطميين، وحث الصليبيين على التعاون معهم، ولكن الخليفة اقترح أن تقسم بلاد الشام السلجوقية بينه وبين اللاتين، فرفض اللاتين هذا المشروع لأن هدفهم كان السيطرة على بلاد الشام. فإذا كانت روايات اللاتين شهود العيان قد أمدتنا بنصف البرهان على هذا الرأي من خلال تأكيد وجود رسول الفاطميين في المعسكر الصليبي خارج أنطاكية(٢)؛ إلا أنه لم ترد في أي من المصادر اللاتينية أو العربية أية نصوص محددة لاتفاقية الأفضل مع اللاتين. وإذا كانت هناك اتفاقية محددة البنود كما أورد ابن الأثير، لكان بوهيمند هو الذي وقعها مع الفاطميين؛ لأنه هو من تولى أمور الصليبيين منذ معركة حارم وحتى سقوط أنطاكية في أيديهم، وبالتالي لكان أوردها مؤلفه الخاص مؤلف أعمال الفرنجة؛ ليبرز دور سيده في تلك الأحداث. وبالعودة لرواية ابن الأثير نجدها تتسم بالاضطراب، ونفهم منها اتصال الفاطميين باللاتين كان قبل خروج الصليبيين من أوروبا(٣)، كما أن اقتسام بلاد الشام الذي أشار إليه كان بين "الفرنج والمسلمين" دون تحديد مع أية قوى من القوى الإسلامية.

ويمكن تفسير وجود رسل الفاطميين في المعسكر الصليبي على أن الأفضل ربما قد خدع، فلم يتفهم طبيعة الحركة الصليبية، والهدف من وجود الصليبيين في بلاد الشام،

الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين (١٠٨١- ١١١٨م)، *مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية*،العدد٢، ٢٠١٤، ص ١٦١-١٦٢.

١) أمجد حافظ حسين طاعة، العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين، ص ٨٨.

٢) ذكر ريموناجيل: "بعد ذلك أتى إلى عرقة مبعوث ملك بابليون مع مبعوثينا؛ الذين أطلق سراحهم والذين كانوا أسرى عنده لمدة عام ... فعرضنا على مبعوثه هذه الشروط: إذا هو ساعدنا في بيت المقدس أو أعاد إلينا بيت المقدس وما يتبعها، فإننا سنعيد إليه مدنه السابقة التي كان الترك قد انتزعوها منه، في حالة استيلائنا عليها. وبالأضافة إلى ذلك فإننا كنا سنقتسم معه كل المدن التركية الأخرى التي لا تقع في نطاق ممتلكاته ولكن يكون الاستيلاء عليها بمساعدته". تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص١٨٧.

٣) وَقِيلَ :إِنَّ أَصْحَابَ مِصْرَ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ، لَمَّا رَأَوْا قُوَّةَ الدَّوْلَةِ السُّلْجُوقِيَّةِ، وَتَمَكُّنَهَا وَاسْتِيلَاءَهَا عَلَى بِلَادِ الشَّامِ إِلَى غَزَّةَ، وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مِصْرَ وِلَايَةٌ أُخْرَى تَمْنَعُهُمْ، وَدُخُولَ أَقْسِيسَ إِلَى مِصْرَ وَحَصْرَهَا؛ خَافُوا، وَأَرْسَلُوا إِلَى الْفِرِنْجِ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَى الشَّامِ لِيَمْلِكُوهُ، وَيَكُونُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص١١٦. أحداث عام ٤٩١هـ.

وربما اعتقد أن الحملة الأولى ما هي إلا مجرد حملة بيزنطية أخرى لصد المد السلجوقي. بل سارع الأفضل بالاستيلاء على بيت المقدس من الأراتقة، مستغلاً الحروب الدائرة بين السلاجقة والصليبيين، ومستفيداً من ضعف الأراتقة الذين عادوا منهكي القوى بعد هزيمتهم من الصليبيين في أنطاكية، وربما اعتقد الفاطميون أن سيطرتهم على بيت المقدس ستعيد جزءاً من نفوذهم ومذهبهم في بلاد الشام، معتمدين على ضغط الصليبيين على السلاجقة.

لكن ماذا حدث لهذا التحالف الصليبي الفاطمي؟ بدأ تبدل الموقف بعدما عقد الزعماء الصليبيون مجلساً للحرب في نوفمبر ١٠٩٨م/ ذي الحجة ٤٩١هـ بكنيسة القديس بطرس بأنطاكية، وأجمعوا على استئناف الزحف نحو بيت المقدس. واتفق الصليبيون على أن يسلكوا الطريق الداخلي لبلاد الشام نحو بيت المقدس بدلاً من الطريق الساحلي، أثناء انشغال الصليبيين بحصار عرقة وصل إلى معسكرهم أعضاء السفارة الصليبية قادمين من مصر، وبصحبتهم مبعوثون من قبل الخليفة الفاطمي المستعلي بالله، وكان الغرض من إرسال أولئك المبعوثين إبداء ترحيب الحكومة الفاطمية بزيارة الصليبيين لبيت المقدس، على أن يتم ذلك على شكل جماعات صغيرة تتراوح أعدادها ما بين مائتين إلى ثلاثمائة من الرجال غير المسلحين. رفض زعماء الصليبيين اقتراحات الأفضل، وكشفوا عن أهدافهم الحقيقية التي جاءوا من أجلها، وذلك من خلال الشروط التي عرضوها على مبعوثي الأفضل[١] ويبدو أن مبعوثي الأفضل رفضوا شروط الصليبيين.

ويبدو أن القوات الفاطمية في بلاد الشام قد تمركزت في جنوب بيت المقدس؛ بوصفه أقرب المناطق إلى مركز خلافتهم في مصر، لا سيما بعد تمكنهم من إخضاع بيت المقدس تحت سيطرتهم بعد انتزاعه من أيدي الأراتقة، على أن ذلك أصبح عامل قوة للوجود الفاطمي في سواحل بلاد الشام. وعلى ما يبدو فإن الحاميات الفاطمية التي كانت موجودة بمدن الساحل لم تستعد لمواجهة الصليبيين رغم أنهم على علم بقدومهم نحو تلك المدن، وكذلك فإن مصر الفاطمية كانت أقدر دول المشرق الإسلامي على مواجهة الصليبيين لامتلاكهم أسطولًا قويًا، فضلاً عن جيشهم البري القوي الذي قام بالسيطرة على القدس بعد طرد الأراتقة منها، ولم يتعرض الفاطميون للقوات الصليبية خلال توجهها نحو

١) ريموناجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص ١٨٧.

بيت المقدس، الذين حرصوا على عدم التعرض لأية مدينة ساحلية حصينة؛ كي لا تُستنفد قواهم نتيجة نشوب أي معارك بينهم وبين حاميات تلك المدن باستثناء بعض المناوشات التي حدثت بين الطرفين، كما أن القوات الفاطمية لم تتلقَ مساعدات من قبل السكان المحليين لبلاد الشام عقد الصليبيون أثناء وجودهم في الرملة مجلساً للحرب لمناقشة خطواتهم القادمة، في ظل وجود توجه لبعض الزعماء الصليبيين بضرورة مهاجمة مصر لتأمين حياتهم في بيت المقدس، إلا أن ذلك الرأي قوبل بالرفض من أغلب الزعماء الصليبيين وتجمعت الفرق الصليبية كلها أمام مدينة بيت المقدس وفرضوا الحصار عليه.

وكان افتخار الدولة حاكم المدينة من قبل الفاطميين قد أمر ببناء ما تهدم من السور وقت استيلاء الأفضل بن بدر الجمالي على القدس، وأقام الكثير من الاستعدادات. حتى تم استيلاء الصليبيين على بيت المقدس والذي وضع نهاية لأية طموح للفاطميين في السيطرة على بلاد الشام، لقد أدرك الفاطميون نوايا الصليبيين التوسعية، فمنذ أن سمع الأفضل الفاطمي بزحف الصليبيين تجاه بيت المقدس أعد عدته وجمع رجاله ليحول دون استيلائهم عليها "فخرج بالعساكر وسار إلى عسقلان إلا أنه وصلها بعد عشرين يوماً من احتلال الصليبيين لبيت المقدس. بعد أن أيقن الوزير الفاطمي الأفضل أن الصليبيين قد نكثوا اتفاقهم معه حول تقسيم بلاد الشام رأى ضرورة التصدي لهم، واستعادة ما أخذه الصليبيون من أرضٍ كانت تابعة للدولة الفاطمية في مصر؛ فأعد قواته البرية في عسقلان. لكن حلت الهزيمة بالفاطميين في معركة عسقلان التي دارت رحاها في ١٢ أغسطس ١٠٩٩ م/ ٢٢ رمضان ٤٩٢هـ[١].

كما أن موقفه من الحملة الأولى وتصديه لها في عسقلان فيما بعد، ثم حملاته ضد مملكة بيت المقدس المتوالية، وصدامه معهم في حملات الرملة الثلاث توضح عدم تراخيه عن التصدي للوجود الصليبي في الشام قدر استطاعته[٢].

وفي ضوء ما سبق كان تفسير وليم الصوري William of Tyre سبب الحملة بأنها "انتقاما من المصريين لكثرة ما أنزلوه به من المصائب" فقد واجه الفاطميون بالفعل

١) أمجد حافظ حسين طاعة، العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين، ص ١٢٣.
٢) بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة / حسين محمد عطيه (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩)، حاشية (٥٠)، ص١٦٢- ١٦٣ ؛ ريموناجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، حاشية(٦)، ص ص ١١٢-١١٥.

الصليبيين في الفترة من عام ١١٠٠-١١٠٥م/ ٤٩٤-٤٩٨هـ وكلل الفاطميون جهودهم بالحملة الفاطمية السلجوقية المشتركة(١)، ثم ما تبع ذلك من صراع بين الفاطميين والصليبيين حول مدن الساحل الشامي الفاطمية(٢). ولتأمين طريق الحجاج لبيت المقدس كما ذكر ألبرت الآيكسي : "فالملك تلقى المشورة من رجاله وقرر غزو أقليم مصر بعدما تنامى إلى علمه الأفعال العدائية للعسقلانيين تجاه الحجاج في طريقهم من وإلى القدس"(٣).

وهذا ما يؤكده الواقع التاريخي فقد عمد الملك بلدوين الأول إلى حماية مملكة بيت المقدس من جهة الجنوب الشرقي، عن طريق السيطرة على الصحراء الممتدة جنوبي البحر الميت حتى خليج العقبة، وهي المنطقة المعروفة باسم وادي عربة. فإلى جانب أهمية هذا المشروع الدفاعية، فإنه يُمَكّن الصليبيين أيضا من عزل مصر عن بقية العالم الإسلامي في الشرق، وقطع الطريق البري بينها وبين الشام والعراق والحجاز. وقد بدأ بلدوين الأول بالسيطرة على وادي عربة جنوبي البحر الميت، ثم شيد حصن الشوبك عام ١١١٥م/٥٠٩هـ ليكون مركزًا يُمكِن الصليبيين من السيطرة على وادي عربة. وفي عام ١١١٦م/ ٥١٠هـ خرج بلدوين الأول في حملة أخرى ومضى حتى أيلة على ساحل خليج العقبة، حيث فر الأهالي من وجهة. وقد بني بلدوين الأول في أيلة قلعة حصينة للتحكم في الطريق البري للقوافل بين مصر والشام؛ كما شيد قلعة أخرى في جزيرة فرعون الواقعة قبالة أيلة في خليج العقبة. وبذلك تمكن الصليبيون من الإشراف على شبه جزيرة سيناء الواسعة، ولم يبق أمام بلدوين سوى أن يهاجم الفاطميين في عقر دارهم ليشعرهم بقوته(٤).

ولا بد من الوضع في الاعتبار أن للأسباب الاقتصادية قوة دافعة في الأحداث عبر التاريخ، فإن النشاط الاقتصادي يمثل عصب الحياة وأساس قيام المدن واستمرارها، وطغى في مدينة الفرما النشاط التجاري، ولمعرفة نوعية هذا النشاط نستعين بما كتبه الرحالة والجغرافيون عن المدينة في العصور الوسطى.

---

١) أنا كومنينا، ألكسياد، ص ٤٣٧؛ صلاح الدين محمد نوار، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي، ص ١٨٧-٢٢٨.

٢) صلاح الدين محمد نوار، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي، ص ٢٣١- ٣١٠.

3) Albert of Aachen, History of the Journey to Jerusalem, P. 863.

٤) سعيد عبد الفتاح عاشور، "شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية"، *المجلة التاريخية المصرية*، مج ١، ١٩٦٩، ص ١٥-٦٦، ص ٣٥-٣٦.

تعتبر التجارة من أهم العوامل التي تزيد من مكانة المدن، وقد حظيت مدينة الفرما بهذه المكانة بفعل وقوعها على طرق التجارة بين الشرق والغرب، فقد جاء ذكر الفرما في كتاب ابن حوقل "صورة الأرض" المتوفى/ ٩٧٧ م/ ٣٦٦ هـ والذي زار مصر في العصر الفاطمي حيث قال: "يردها التجار ليلا ونهارا من الفسطاط والشام لأنها على الطريق مرحلة، وسابلتها غير منقطعين"(١) فكانت المدينة محطة للربط وتشكل نقطة توقف للكثير من الطرق القادمة من الناحية الشرقية. ثم قال أيضا: "إنها مدينة صالحة على نحر بحر الروم، كثيرة النخيل والرطب والسمك غير طيبة الماء"(٢)، ثم وصف ابن حوقل في البحيرة الواقعة شمال الفرما والجزر المتناثرة بها وخاصة تنيس(٣) وصفا يتفق مع ما أورده الأصطخري(٤). ومن أكثر السلع "وأكثر متاجرهم في النوى والشعير والعلف لكثرة اجتياز القوافل بهم"(٥).

فالحملة يمكن اعتبارها – في أقل تقدير– حملة استطلاعية استكشافية لمصر، لتحديد حجم المقاومة الحقيقة للفاطميين في إطار مناوشات(١)، وهنا يمكن الإشارة إلى أن العظيمي والنويري يؤكدان على أنها مجرد غارة عابرة (٢).

---

١) ابن حوقل (أبي القاسم بن حوقل النصيبي)، صورة الأرض، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٩٢)، ص ١٣٦.
٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٣٦.
٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٤٦.
٤) " وبأرض مصر بحيرة يفيض فيها ماء النيل تتّصل ببحر الروم تعرف ببحيرة تنّيس إذا امتدّ النيل فى الصيف عذب ماؤها وإذا نقص فى الشتاء إلى أوان البحر غلب ماء البحر عليها فملح ماؤها، وفيها مدن مثل الجزائر تطيف البحيرة بها فلا طريق إليها إلا فى السفن فمن مشاهير تلك المدن تنّيس ودمياط وهما مدينتان لا زرع بهما ولا ضرع وبهما يتّخذ المرتفع من ثياب مصر، وهذه البحيرة قليلة العمق يسار فى أكثرها بالمرادىّ وبها سمكة تسمّى الدلفين فى خلقة الزقّ المنفوخ وسمكة إذا أكلها الإنسان رأى منامات هائلة ومن حدّ هذه البحيرة إلى حدّ الشام أرض كلّها رمال متّصلة حسنة اللون تسمّى الجفار بها نخيل ومنازل ومياه مفترشة غير متّصلة ويتّصل حدّ الجفار ببحر الروم وحدّ بالتيه وحدّ بأراضي فلسطين من الشام وحدّ بحيرة تنّيس وما اتّصل به من ريف مصر إلى حدود القلزم وإمّا تيه بنى إسرائيل فيقال إنّ طوله نحو أربعين فرسخا وعرضه قريب من طوله وهي أرض منها صلبة ومنها رمال وبها نخيل وعيون مفترشة قليلة يتّصل حدّ له بالجفار وحدّ بجبل طور سينا وما اتّصل به وحدّ بإزاء بيت المقدس وما اتّصل به من فلسطين وحدّ له ينتهي إلى مفازة في ظهر ريف مصر إلى حدّ القلزم وإمّا الأشمونيين فإنّها مدينة صغيرة عامرة ذات نخيل وزروع ويرتفع من الأشمونيين ثياب كثيرة وبحذائها من شماليّ النيل مدينة صغيرة يقال لها بوصير بها قتل مروان بن محمّد ويقال إنّ سحرة فرعون الّذين حشرهم في يوم موسى من بوصير فأمّا أسوان فإنّ بها نخيلا كثيرا وزروعا وهي أكبر مدن الصعيد وإسنا وإخميم متقاربتان في العمارة صغيرتان عامرتان بالنخيل والزروع وذو النّون المصري الناسك من إخميم والفرما على شطّ البحيرة وهي مدينة صغيرة خصبة وبها قبر جالينوس اليوناني، ومن الفرما إلى تنّيس نحو فرسخين في البحيرة وبتنّيس تلّ عظيم مبني من أموات منضّدين بعضهم على بعض يسمّى هذا التلّ بوتون ويشبه أن يكون ذلك من قبل موسى عم لانّ ارض مصر في أيّام موسى كان دينهم الدفن ..." الكرخي (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المتوفى: ٣٤٦هـ)، المسالك والممالك، (بيروت : دار صادر،2004)، ص ٥٢-٥٣.
٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٢٥٥-٢٥٦.

ولكن – على أكثر تقدير– لدحر الوجود الفاطمي ومد السيطرة الصليبية على مصر، مثلما تجزم بعض المصادر الإسلامية الأخرى[٣]، وفي مقدمتهم ابن الأثير[٤] وابن تغري بردي[٥]. وهو ما يتفق مع تفسير إحدى الدراسات من أن رحلة بالدوين الأخيرة نحو مصر كانت محاولة لقياس المقاومة الفعلية التي ستواجهها القوات الفاطمية ضد توغلهم في أراضيهم. وأن فرصة للتوقف وأكل السمك الذي اصطاده رجاله، يشير ببساطة إلى أنه لم يكن هناك مقاومة لتحركاته. سواء كان سيختبر أسوار القاهرة أم لا فقد كان أمر غير مؤكد، غير أن التسمم الغذائي الذي لحق به من الأسماك أو من هياج جرح داخلي قديم قد يكون سبب العدوى، أدى لوفاته السريعة في اليوم الثاني من أبريل، وضع حدًا لأي تفكير جاد مهاجمة مصر مباشرة لعدة عقود (وليس في هذه الحملة فقط) من الممكن التوقع، أن بلدوين ربما كان سيتحدى المصريين (الفاطميين) لو لاحظ ضعفا في موقفهم ضده[٦].

وقد رجح عاشور أن بلدوين استهدف من مهاجمة الفاطميين بمصر أن يضطرهم إلى الاستعانة بحاميتي صور وعسقلان، فيستولى على هاتين المدينتين في غير عناء؛ خاصة أن تلك المدينتين من أكثر المدن الشامية التي استعصت على الصليبيين مدة من الزمن[٧]، وهي استراتيجية استخدمها المسلمون مع الصليبيين طوال فترة وجودهم ببلاد الشام؛ فقد كان للنقص العددي آثاره في الدلائل التي تشير إلى أن وجود جيش ميدان قوى مع حاميات مناسبة في آن واحد كان أمراً مستحيلاً للفرنجة في الحقبة الأولى من احتلالهم للشام وقبل أن تنموا مواردهم[٨].

---

1) Archer, Thomas Andrew, The Crusades; The Story of the Latin Kingdom of Jerusalem, New York, Putnam, 1894, p. 140.

فنك: تأسيس الأمارات الصليبية، ص ٩٥.

٢) "وأغار بغدوين ملك القدس على أطراف ديار مصر وعاد فمات بالقدس بجرح انتفض عليه" العظيمي، تاريخ حلب، ص ٣٦٨ أحداث عام ٥١١م؛

٣) "وهو برديل الفرنجي الطاغية الذي افتتح القدس وغيرها من مدن الشام. وكان شجاعا مهيبا خبيثا. وقد استفحل شره وكثر جنده فجمع العساكر وسار ليأخذ الديار المصرية من بني عبيد، إلى أن قارب تنيس، فسبح في النيل، فانتفض عليه جرح كان به "الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣٥، ص ٣١٥.

٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص١١٦

٥) " ثم قصد الملك برديل الإفرنجيّ مصر ليأخذها، ودخل الفرما" ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٥، ص ١٧١ أحداث ٤٩٥هـ

6) John Francis Lowe, Baldwin I of Jerusalem, p. 52.

٧) أمجد حافظ سعيد طاعة، العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين، ص ١٧٧.

٨) ر.س. سميل، فن الحرب، ص ١٧١.

ولكن تناول هذه الحملة يقودنا للحديث عن أهداف الحملات الصليبية على المدن خلال فترة الوجود الصليبي، فقد كانوا يدركون، في ذلك العصر، كيف يمكن الاستيلاء على منطقة ما بغزو منطقة أخرى عسكريا. ولقد كان هذف اللاتين، منذ أول حملة صليبية، الاستيلاء على الأراضي، فالأرض كانت مطلوبة لأنها الأساس المادي لإقامة الحكومة. ورغم كون الحكام اللاتين يملكون موارد مادية، فإن قدرتهم على الإيفاء بالأعباء الإدارية والعسكرية للحكومة ظلت تعتمد، وإلى درجة كبيرة، على سعة ممتلكاتهم من الأراضي. فكانت الحرب وسيلة من أجل التوسع في الأراضي، أو الدفاع عنها لكونها –أي الحرب– أداة السياسة(١).

ولكن هل واجهت الحملة مقاومة البدو(٢)أو الفاطميين؟

ومن الجدير بالذكر أن رواية فوشيه، ورواية وليم الصوري(٣)، جعلت بعض الباحثين في تاريخ الحروب الصليبية يرى أن الفرصة للتجول، وأكل الأسماك التي اصطادها رجال الملك؛ دليلا على عدم وجود مقاومة لصد هذه الغارات(٤).

وحاولت الدراسات رصد رد فعل البدو على خط سير حملة بلدوين حتى وصولها للفرما، وافترضوا استطاعة بلدوين أن يعبر الصحراء الممتدة من غزة حتى العريش والفرما دون أن يشتبك أو يهدده البدو، الذين خشوا خطر الصليبيين فسهلوا لهم الحصول على ما يلزمهم من زاد وماء(٥)، بل إن رنسيمان يرى أن بلدوين الأول قام بغزو مصر بعد مفاوضات حذرة مع شيوخ القبائل في الصحراء(٦). وهذا يتفق مع الواقع التاريخي فإذا كان الشائع لدى الناس أن الأبل هي سفينة الصحراء فمن الحق والإنصاف القول أن البدو كانوا هم ربابنة هذه السفينة وقادتها وسط المحيط الصحراوي المترامي الأطراف(٧).

---

١) ر.س.سميل، فن الحرب، ص ٥٤-٥٥ .

٢) حول الرؤية المفاهيمية لمصطلح البدو. مصطفى وجيه مصطفى، بدو سيناء بعيون الرحالة الأوربيين عصر سلاطين المماليك ٦٤٨- ٩٢٢هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، (دمشق: نورحوران، ٢٠٢٢)، ص ٧- ١٧.

٣) " فاصطاد الملك ومن معه من هذا الخليج بعض السمك الذي يكثر به كثرة هائلة" الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ٣١.

4) John Francis Lowe, Baldwin I of Jerusalem, p. 52-104.

٥) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٢٥٨

٦) ستيفن رنسيمان، تاريخ الحملات الصليبية – مملكة القدس والشرق الفرنجي ١١٠٠- ١١٨٧م، ج ٢، ترجمة / نور الدين خليل، ١٩٩٦م، ص ١٢٩.

٧) مصطفى وجيه مصطفى، بدو سيناء، ص ٤١.

فعلى مدار تاريخ الحروب الصليبية كتبت المصدر اللاتينية عن أقبال الصليبيون على التعامل مع البدو[١]. وذكر وليم الصوري أنه في خضم أحداث معركة الرملة الثانية ١٧ مايو ١١٠٢م/ ١٨ رجب ٤٩٥هـ عندما أخذ المسلمون في تشديد حصار على الملك بلدوين الأول داخل االمدينة، تمكن من الهروب بمساعدة أحد الأعراب[٢].

لكن ظهر وصف رد فعل الفاطميين على غارة بلدوين على الحدود الشرقية عامة، وعلى الفرما خاصة في مصدر قبطي حيث ذكر: "وكان السيد الأجل الأفضل (ابن بدر الجمالي) لما بلغه وصولهم إلى الفرما جرد إليهم عسكرًا عظيمًا، فلما مات بردويل مقدمهم وعادو تبعهم العسكر إلى الشام وعاد"[٣].

وأورد المؤرخ المسلم المعاصر ابن مأمون البطائحي ما يوضح موقف الفاطميين في حوادث سنة تسع وخمسمائة هـ: "ووصلت النجابون من والي الشرقية تخبر بأن بغدوين ملك الفرنج وصل إلى أعمال الفرما، فسيَّر الأفضل ابن أمير الجيوش للوقت إلى والي الشرقية بأن يسير المركزية والمقطعين بها، وسير الراجل من العطوفية، وأنْ يسير الوالي بنفسه بعد أن يتقدم إلى العربان بأسرهم بأن يكونوا في الطوالع ويطاردوا الفرنج ويشارفوهم بالليل قبل وصول العساكر إليهم، فاعتمد ذلك ثم أمر بإخراج الخيام وتجهيز الأصحاب والحواشي، فلما تواصلت العساكر وتقدمها العربان وطاردوا الفرنج، وعلم بغدوين ملك الفرنج أنَّ العساكر متواصلة إليه، وتحقق أنَّ الإقامة لا تمكنه، أمر أصحابه بالنهب

١) فقد أشارت المصادر اللاتينية لعملهم أدلاء وجواسيس مأجورين للصليبيين، وروى وليم الصوري عقب هزيمة قوات صلاح الدين في ٢٥ نوفمبر ١١٧٧م: "أصر الأعراب إصرارًا عنيفا على مطاردة من شاءت الصدفة أن ينجو من الوقوع في قبضتنا، وبذلك فإن الذين ظنوا أنهم نجوا وجدوا أنفسهم قد وقعوا فريسة في براثن هؤلاء الأعراب. وكان من عادة البدو، هذه الطائفة اللئيمة، أنهم كانوا يتحاشون القتال دائما؛ فلا يخوضون معركة ما من المعارك أيا كان القائد بل يقفون على بعد من ساحة الحرب ما دامت نتيجتها لم تتضح، فإذا حسمت انضموا إلى الغالب، وتعقبوا المغلوب وملأوا أيديهم بالأسلاب والغنائم". الحروب الصليبية، ج٤، ص ٢٢٢؛ ومن أمثلة التعاون بين الصليبيين والبدو ما حدث أثناء حملة ملك إنجلترا (ريتشارد) على بلاد الشام فعندما عسكر قرب قلعة النطرون بين الرملة والقدس، "اتصل بعض البدو بالملك فأعطاهم كتاب أمان بالمرور، فعاهدوه أن يخلصوا في خدمته، وأن يكونوا عيونا يخبرونه على= =الدوام بتحركات صلاح الدين وبكل ما يجري في بلاد المسلمين" المؤرخ المجهول، ذيل وليم الصوري، ترجمة/ حسن حبشي (القاهرة: الهيئة المصرية، ٢٠٠٢)، ص ٢٣٢؛ ويبدو أنّ (ريتشارد) قد أعجبه موضوع استخدام البدو، فأشار أمبراوز لاستوثاق الملك ريتشارد من خبر القافلة الإسلامية عن طريق بدوي.
Ambroise, The Crusade of Richard Lion – Heart, trans. from old Fremch by Merton Jerome Hubert with notes and Documentation by John La Mont, (New York– 1941), p. 383.

٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٢٣٢؛ هنادي السيد محمود إمام، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، ص ٨٣.

٣) ابن المقفع، تاريخ البطاركة، الجزء الثالث المجلد الثاني، ص ١٢٥٢.

والتخريب والإحراق وهدم المساجد، فأحرق جامعها ومساجدها وجميع البلد، وعزم على الرحيل، فأخذه الله – سبحانه وتعالى – وعجَّل بنفسه إلى النار، فكتم أصحابه موته، وساروا بعد أن شقوا بطن بغدوين وملؤوه ملحًا حتى بقي إلى بلاده فدفنوه بها، وأمَّا العساكر الإسلامية فإنهم شنُّوا الغارات على بلاد العدو، وعادوا بعد أن خيَّموا على ظاهر عسقلان ..."[١].

وقد وردت رواية ابن مأمون لدى المقريزي مفصلة وواضحة[٢]، وطبقا للرواية أنه عندما علم الأفضل بذلك أمر والي الشرقية بالتصدي لبلدوين[٣] هذا من جانب. ومن جانب آخر جدير بالملاحظة أن رد فعل الفواطم تضمن على تفعيل دور البدو في التصدي للحملة " وأنْ يسير الوالي بنفسه بعد أن يتقدم إلى العربان بأسرهم بأن يكونوا في الطوالع ويطاردوا الفرنج ويشارفوهم بالليل قبل وصول العساكر إليهم"، وهو الأمر الذي يبدو من سير الرواية أنه تم فكان للبدو دور" فلما تواصلت العساكر وتقدمها العربان وطاردوا الفرنج، وعلم بغدوين ملك الفرنج أنَّ العساكر متواصلة إليه، وتحقق أنَّ الإقامة لا تمكنه"[٤].

على أية حال ونتيجة لرد الفعل الفاطمي على أنباء وصول الحملة للفرما، ونظرا لأن الهزيمة عند الصليبيين كان لها معنى يختلف عن معناها عند المسلمين، فقد كانت الهزيمة الواحدة ربما تعني خسارة المعركة أو الحرب بل حتى ضياع المملكة نفسها، وهذا هو بالضبط ما حدث في يوليو ١١٨٧ م/ ربيع الثاني ٥٨٣هـ في حطين؛ عندما كان معنى الهزيمة هو فقدان المملكة[٥]، كان قرار الصليبيين بالعودة مثلما تذكر المصادر

١) ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ١٣؛ صلاح الدين محمد نوار، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي، ص ٣٤٣

٢) " سنة تسع وخمسمائة... وورد الخبر بأن بغدوين ملك الفرنج وصل إلى الفرما، فسير الراجل من العطوفيه، وسير إلى والي الشرقية بأن يسير المركزية والمقطعين إليها، ويتقدم إلى العربان بأسرهم أن يكونوا في الطوالع ويطاردوا الفرنج ويشارفوهم بالليل قبل وصول العساكر، وأن يسير بنفسه ؛ فاعتد ذلك؛ ثم أمر بإخراج الخيام وتجهيز الأصحاب والحواشي . فوصلت العربان والعساكر فطاردوا الفرنج، فخاف بلدوين من يلاحق العساكر، فنهب الفرما وخربها وألقى فيها النيران، وهدم المساجد، وعزم على الرجوع فأدركته المنية ومات. فأخفى أصحابه موته، وساروا وقد شقوا بطنه وحشوه ملحا.وشنت العساكر الإسلامية الغارات على بلاد العدو، وخيموا على ظاهر عسقلان ثم عادوا. "اتعاظ الحنفا، ج، ٣ ص٥٣- ٥٤.

٣) أمجد حافظ سعيد طاعة، العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين، ص ١٧٨.

٤) ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ١٣؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٥٣- ٥٤.

٥) يوشع براور، عالم الصليبيين، ص ١٢٤- ١٢٥.

العربية واللاتينية على السواء، فعكست الحملة سياسة الحذر التي اتبعها الصليبيون طوال وجودهم في الشرق[١]، فاليوم الاستكشاف وغدا الحملات الكبرى[٢].

لكن الأهم من ذلك الجانب الثالث في وصف رد الفعل الفاطمي أن هذه الحملة أيقظت الفاطميين وأشعرتهم بتنامي الخطر الصليبي، ودفعت الوزير الأفضل لإعداد الحملات وإرسالها مرة أخرى إلى بلاد الشام بل وحملت الأفضل بن بدر الجمالي للتحالف مع حكام دمشق السنيين[٣]، فذكر المقريزي: "وكانت الكتب قد نفذت من الأفضل إلى الأمير ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق، يعاتبه ويقول له: " لا في حق الإسلام ولا في حق الدولة التي ترغب في خدمتها والانحياز إليها أن يتوجه الفرنج بجملتها إلى الديار المصرية ولا يتبين لك فيها أثر ولا تتبعهم ولو كان وراءهم... ما كان أمامهم ما عاد منهم أحد". فلما وصل إليه الكتاب سار بعسكره إلى عسقلان، فتلقاه المقدمون، ونزل أعظم منزل، وحملت إليه الضيافات. وحمل إليه من مصر الخيام وعدة وافرة من الخيل والكسوات والبنود والأعلام، وسيف ذهب، ومنطقة ذهب، وطوق ذهب، وبدنة طميم، وخيمة كبيرة معلمة، ومرتبة ملوكية، وفرشها وجميع آلاتها وسائر ما تحتاج إليه من آلات الفضة. وجهز لشمس الخواص، وهو مقدم كبير كان معه على عدة كثيرة من العسكر، خلعة مذهبة ومنطقة ذهب وسيف ذهب، وجهز برسم المتميزين من الواصلين خلع مذهبة وحريرية، وسيوف مغوسة بالذهب. فتواصلت الغارات على بلاد العدو وقُتِل منهم وأُسِر عدد كبير "[٤].

أشار النويري لحصار الصليبيين للفرما[٥]، وهو ربما ما قصده جاك الفيتري عندما ذكر: "أن الملك اللاتيني قد استولى على المدينة بالقوة"[٦].

---

١) أميرة محمد شحاتة، دور الفرسان، ص ١٦٥.

٢) هنادي، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، ص ٧١.

٣) "وأمَّا العساكر الإسلامية فإنهم شنُّوا الغارات على بلاد العدو، وعادوا بعد أن خيَّموا على ظاهر عسقلان، وكتب إلى الأمير ظهير الدين طغتكين، صاحب دمشق، بأن يتوجه إلى بلاد الفرنج، فسار إلى عسقلان وحملت إليه الضيافات وطولع بخبر وصوله، فأمر بحمل الخيام وعدة وافرة من الخيل والكسوات والبنود والأعلام وسيف ذهب ومنطقة ذهب وطوق ذهب، وبدلة طقم، خيمة كبيرة مكملة... "ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ١٣؛ هنادي، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، ص ٧٠.

٤) اتعاظ الحنفا، ج ٣ ،ص٥٣- ٥٤.

٥) النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ٦٧٧ – ٧٣٣ هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٨، (القاهرة: مركز تحقيق التراث، ٢٠٠٧،ط٣)، ص ٢٧٧.

٦) جاك الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص ٤٤

هذا وقد اعتدنا في مصادر الحروب الصليبية وخاصة اللاتينية منها على عدم التورع أو حتى التردد في ذكر أعمال السلب والنهب وحتى القتل وخير دليل لدينا الروايات حول ما حدث من الصليبيين عند دخول بيت المقدس(١). وبتفحص الرواية اللاتينية بالنسبة لحملة بلدوين على الفرما نجد ذكر أخذ كثيرا من الأسرى والغنائم له ولأتباعه الجنود(٢)، أما أبو المحاسن بن تغري بردي(٣) والنويري(٤)، فقد ذكرا أن بلدوين أحرق مسجد الفرما، وأشار البعض إلى أنه قد ذبح من فيها(٥)، وأشارت الرواية القبطية إلى نهب الفرما وإحراقها(٦). وقد أفاض المقريزي بما كان في الفرما في أحداث سنة إحدى عشرة وخمسمائة: "وفيها وصل بغدوين إلى الفرما وأحرق جامعها وأبواب المدينة ومساجدها، وقتل بها رجلا مقعدا وابنة له ذبحها على صدره، ورحل وهو مثخن مرضا.."(٧).

وقد جعل البعض أقصى امتداد للرحلة مدينة تنيس(٨)، وأشار البعض إلى الوصول إلى مصب النيل(٩).

وفي النهاية اضطربت أيضا رواية المصادر في الحدث الأبرز الذي صادف الحملة وهو سبب وفاة الملك بلدوين الأول، ما بين سبح في النيل فانتفض جرح قديم (١٠)، وبين أكل السمك(١١)، وهو الأمر الذي على الرغم من تكراره في المصادر اللاتينية؛ لم

١) ريموناجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص ٣٤٧ ؛ فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص ١٣٧.
٢) جاك الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص ٤٤.
٣) وأحرق جامعها ومساجدها ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٥، ص ١٧١، أحداث ٤٩٥.
٤) "قصد بردوايل الفرنجي الديار المصرية، فانتهى إلى الفرما ودخلها وأحرقها، وأحرق جامعها ومساجدها" أبو الفدا، المختصرفي أخبار البشر، ج ٢، ص ٣١٧"، "وفي سنة إحدى عشرة وخمسمائة أغار بغدوين ملك الفرنج على الفرما وقتل جميع من بها، وأحرق جامعها ومساجدها، وذلك بعد أن حاصرها أياما" النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٧٧.
٥) "قتل جميع من بها" النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٧٧.
٦) ابن المقفع : تاريخ البطاركة، الجزء الثالث المجلد الثاني، ص ١٢٥١.
٧) اتعاظ الحنفا، ج، ٣ ص ٥٦.
٨) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٥، ص ٣١٥.
٩) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص١١٦.
١٠) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣٥، ص ٣١٥.
١١) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص ٢٣٤.

يتردد صداه في المصادر الإسلامية، بل إن الإدريسي في نزهة المشتاق أشار لموته غريقا بفرسه جراء غطرسته(١).

نتائج البحث:

- أكدت المصادر الجغرافية على تميز الموقع الجغرافي لمدينة الفرما وأهميته العسكرية والاستراتيجية الكبيرة لمصر في العصور الوسطى، وكذلك أهمية اقتصادية.
- بالمقارنة بين روايات المصادر المختلفة لوصف حملة الملك بلدوين الأول اتضح أن رواية فوشيه الشارتري كانت موجزة مقارنةً برواية ألبرت الآيكسي ووليم الصوري، وهو الأمر الذي يمكن تفسيره بأنه في ذلك الوقت كان فوشيه قد تباعد عن سيده، ومن الواضح أنه لم يرافق بلدوين في رحلته هذه.. كما اتسم الوصف الأرميني للحملة طبقا لرواية (متى الرهاوي، والرهاوي المجهول) بالإيجاز وهو الأمر الذي ربما يرجع لعدم توافر المصادر الموثوق بها لهما، أو أنهما كانا ينأيان عن الخوض في قضايا الواقع الصليبي أو أنهما أثارا التركيز على هدف محدد وهو أخبار الرها.. وتفاوت الروايات الإسلامية كذلك بين الإيجاز والتفصيل في وصف الحملة.
- ونتج عن هذه المقارنة للروايات المختلفة للمصادر بعض الاختلافات جاء في مقدمتها بالنسبة للروايات الإسلامية، الاختلاف في تحديد تاريخ وفاة الملك وتأتي أهمية دقة تحديد هذا التاريخ لارتباطه بتاريخ الحملة، والذي تم تحديده في الدراسة بالثامن من ذي الحجة ٥١١هـ وهو ما وافق الثاني من إبريل ١١١٨م.
- بمقابلة الروايات المختلفة للمصادر اتضح بعض الاختلافات وجاء في مقدمتها بالنسبة للروايات اللاتينية، الاختلاف بين تقدير القوات التي شاركت في الحملة بين "قوات كبيرة" أو "قوات محدودة" وقد حاولت الدراسة تفسير هذا التقدير طبقا

١) وبحيرة الزار متصلة ببحيرة تنيس وبينها وبين البحر الملح ثلاثة أميال وهذه البحيرة التي ذكرناها بحيرة كبيرة واسعة القطر وفيها من الجزائر غير مدينة تنيس جزيرة حصن الماء وهي مما يأتي: ناحية الفرما وبقرب منها وإليها وصل الملك بردوين الذي استفتح بلاد الشام بعد الإسلام وغرق بفرسه بقربها ومنها انصرف إلى ما خلفه وبالشرق من تنيس ومع الجنوب قليلا جزيرة تونة وهي في بحيرة تنيس وفي جنوب تنيس وببحيرتها جزيرة نبلية..." الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٣٣٥-٣٣٦.

للخلفية التاريخية لكل مؤرخ وفي ضوء قدرة المملكة التعبوية للقوات المحاربة في تلك الفترة.

- خلت المصادر اللاتينية والإسلامية وغيرهما من وصف دقيق لخط سير الحملة، ولم تحدد نقطة الانطلاق، ولكن كان الطريق هو الطريق البري الصحراوي وصولا للفرما.. أما عن العودة فكانت عبر البادية الممتدة بين مصر والشام من الفرما إلى العريش إلى الخليل إلى القدس، ويمكننا استنتاج أنه نفس طريق الذهاب

وهو الطريق المطروق طبقا للمصادر الجغرافية (انظر الشكل رقم ١).

- ركزت الروايات جميعها في محاولة تقديم سبب للحملة، ورأت المصادر اللاتينية أن السبب هو الانتقام من الفاطميين أو أهل عسقلان... وفي هذا الإطار استعرضت الدراسة العلاقات الفاطمية الصليبية منذ بداية الحملة الصليبية الأولى وما حدث من تصاعد في الأحداث بين الفاطميين وبلدوين الأول وصولا للهجوم المباشر على الفاطميين في عقر دارهم.
- قسَّمت الروايات أهداف الحملة لثلاثة اتجاهات، الأول اعتبارها حملة استكشافية، والثاني حملة لدحر الوجود الفاطمي في مصر، والاتجاه الثالث هو رغبة بلدوين في الضغط على الفاطميين بمصر مما يسهل عليه الاستيلاء على صور وعسقلان.
- وأظهرت المصادر الإسلامية تمثل رد فعل الفاطميين في ثلاث اتجاهات الأول توجيه الأوامر لوالي الشرقية، والثاني الاستعانة بالبدو للتصدي للحملة، والاتجاه الثالث التحالف مع حكام دمشق السنيين.
- وأشارت المصادر اللاتينية إقبال الصليبيين على التعاون مع البدو فترة الحروب الصليبية، والتركيز على بعض الأدوار التي قاموا بها نتيجة لتمركزهم بطرق المسافرين، فإنه من خلال حملة بلدوين الأول على الفرما يتضح دور البدو في التعاون مع والي الشرقية والدولة الفاطمية في التصدي لهذه الحملة على الفرما وهو الأمر المؤكد ضمن الرواية الإسلامية عن رد الفعل الفاطمي عن أنباء وصول الحملة، وهو الأمر الذي لم نجد ذكره في المصادر اللاتينية والتي اكتفت

بذكر اتخاذ المجلس الاستشاري قرار المغادرة خشية معرفة القوة العددية لهم وقرب القاهرة. وفي هذا الأطار يعد بالفعل دراسة دور البدو عصر الحروب الصليبية بين صورتهم في المصادر اللاتينية والمصادر الإسلامية في حاجة لمزيد من الدراسات الجادة.

- أشارت الصادر اللاتينية لأخذ الغنائم في الفرما، وأفاضت المصادر الإسلامية في وصف أعمال النهب والحرق التي صاحبت الحملة.
- شكَّل سبب وفاة الملك بلدوين الأول حقلاً خصبا للاختلاف في تفسيرها، والتي تعد نقطة النهاية الواضحة للحملة في كل المصادر.
- لم تحقق الحملة الصليبية أي نتائج حاسمة في سياسة (بلدوين) والصليبيين هذا من جانب، وعلى الجانب الآخر أيقظت الفاطميين الذين شعروا بالخطر الصليبي على بلادهم مما دفع الوزير الفاطمي (الأفضل بن بدر الجمالي) إلى القيام بحملات عسكرية متكررة ضد الصليبين.

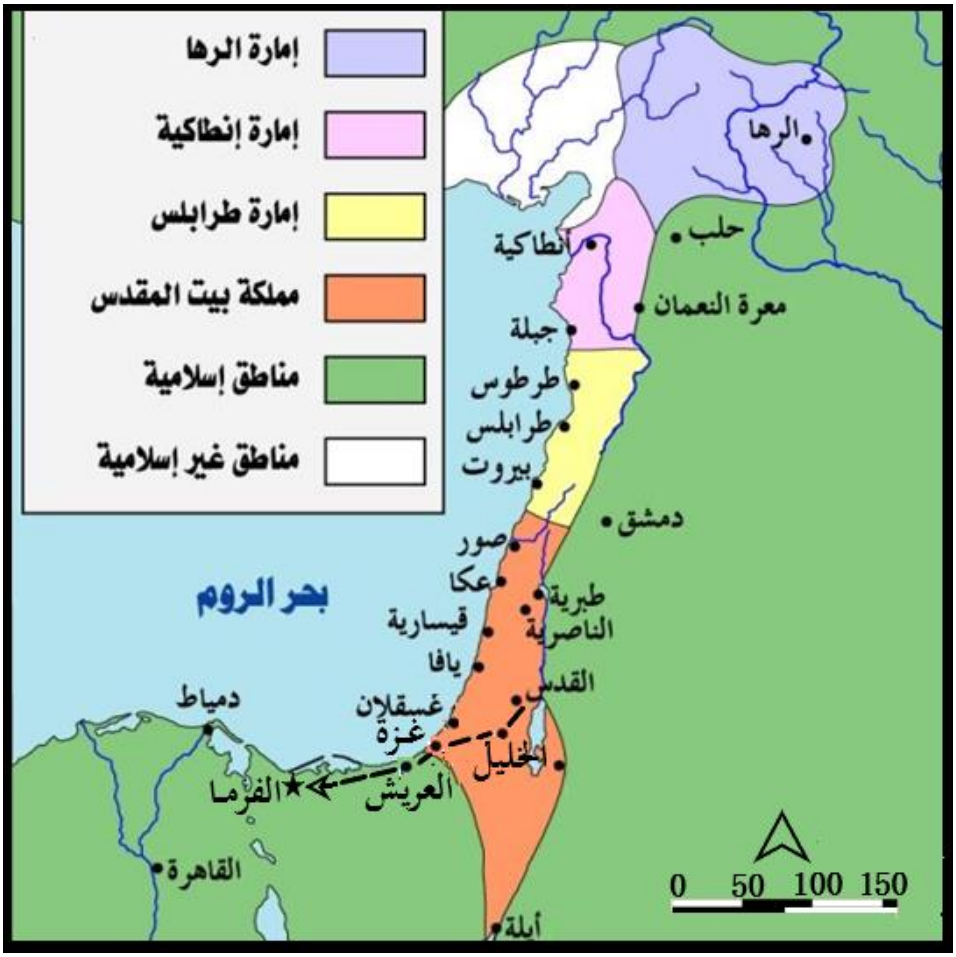

الشكل (١) تصور لخط سير حملة بلدوين الأول على مدينة الفرما عام ١١١٨ م/ ٥١١ هـ.

قائمة المصادر والمراجع

أولا :المصادر الأجنبية :

- Alberti Aquensis, Historia Hierosolymitana, R.H.C.H. Occ. Tome Quatrieme.

واعتمد البحث على الترجمة الإنجليزية بعنوان:

- Albert of Aachen, Historia Ierosolimitiana: History of the Journey to Jerusalem, edited and translated by Susan B., Edgington (Oxford, 2007).

- Anna Comnena, the Alexiad, trans. E.A.S. Dawes, (London, 1967).

اعتمد البحث على الترجمة العربية: أنا كومنينا، ألكسياد، ترجمة/ حسن حبشي (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م).

- Ambroise, The Crusade of Richard Lion – Heart, trans. from old Fremch by Merton Jerome Hubert with notes and Documentation by John La Mont, (New York– 1941)

- Anonymous,The Itinerarium Peregrinorum et Gesta Regis Ricardi. Ed. And trans. Helen J. Nicholson. Aldershot, UK/ Bookfield VT: Scolar Press, 1997.

اعتمد البحث على الترجمة العربية: المؤرخ المجهول، الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) ج١، ترجمة/ حسن حبشي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٠).

- Anonymous, La Continuation de Guillaume de Tyre (1184- 1197), par Margaret Ruth Morgan, Paris, 1952.

اعتمد البحث على الترجمة العربية: المؤرخ المجهول، ذيل وليم الصوري، ترجمة/ حسن حبشي (القاهرة: الهيئة المصرية،٢٠٠٢).

- Assises de Jérusalem ou recueil des ouvrages de jurisprudence composés pendant le XIIIe siècle dans les royaumes de Jérusalem et de Chypre. Tome premier: Assises de la haute cour ,publiées par M. le Comte Beugnot(Paris, Imprimerie Royale).

- Fulcher of Charter, a History of Expedition to Jerusalem. H. Finf (ed.) Knoxille, 1969.

اعتمد البحث على الترجمة العربية: فوشيه الشارتري، الاستيطان الصليبي في فلسطين تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥-١١٢٧م ، ترجمة/ قاسم عبده قاسم، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠١).

- Jacques de Vitry, History of Jerusalem, trans. by Aubrey. Stewart, in P.P.T.S., IX, (London, 1897).

اعتمد البحث على الترجمة العربية: جاك الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ترجمة/ سعيد البيشاوي، (عمان: دار الشروق، ١٩٩٨م).

- Matthew of Edessa, The Chronicle of Matthew of Edessa, Translated from the original Armenian, with a commentary and introduction by/ Ara Edmond Dostourian, (University Press of America, 1993).

اعتمد البحث على الترجمة العربية: متى الرهاوي ، تاريخ متى الرهاوي (الإفرنج – الصليبيون ، المسلمون، الأرمن) ، ترجمة/ محمود محمد الرويضي و عبد الرحيم مصطفى، (أربد: مؤسسة حمادة للدراسات ، ٢٠٠٩).

- Petrus Tudebodus, "De Historia Hierosolymitano Itinere", in R.H. C. Hist. Occ., Tom. III.

اعتمد البحث على الترجمة العربية: بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة / حسين محمد عطيه (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩).

- Raymond d'Aguilers, Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem, in R.H.C.Hist. Occ. Tom. III.

اعتمد البحث على الترجمة العربية: ريموناجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة/ حسين محمد عطية ، (الإسكندرية: المعرفة الجامعية، 1989).

- Walter the Chancellor Bella Antiochene in R.H.C. Hist.occ, Tom, V., (Paris, 1869).

وقد اعتمد البحث على الترجمة الإنجليزية

- Walter the Chancellor's, The Antiochene Wars, A Translation and Commen tarns by, Thomas S. Asbridge and Susan B. Edgington, (Ashgate, 1999).

- William of Tyre, A History of the Dees Done Beyond the sea, trans. by E.A. Babcock, A.C. Kery, (New York, 1943- 1947).

اعتمد البحث على الترجمة العربية: وليم الصوري ، الحروب الصليبية ...تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر، ترجمة/ حسن حبشي، ج٢ ،(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ، ١٩٩١-١٩٩٥)، ٤ أجزاء.

ثانيا: المصادر العربية:

— ابن الأثير (أبو الحسن على بن أبى الكرم الشيباني الجزري والملقب بعز الدين ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) ، الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت – لبنان : دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ط١).

— الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي المتوفى: ٥٦٠هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الأول ، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ،٢٠٠٢).

— ابن القلانسي (أبى يعلى حمزة ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) ، ذيل تاريخ دمشق، (بيروت: الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨).

— ابن المأمون (الأمير جمال الدين أبو علي موسى بن المأمون البطائحي ت ٥٨٨هـ)، نصوص من أخبار مصر، تحقيق/ أيمن فؤاد سيد، (القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، ١٩٨٣).

— ابن المقفع (الأنبا ساويرس ابن المقفع أسقف الأشمونين) ، تاريخ البطاركة.. تاريخ مصر من بدايات القرن الأول الميلادي حتى نهاية القرن العشرين، تحقيق/ عبد العزيز جمال الدين، الجزء الثالث المجلد الثاني، (القاهرة : مكتبة مدبولي، ، ٢٠٠٦).

— ابن تغري بردي (يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت ٨٧٤هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٥، (مصر: دار الكتب).

— ابن جبير الكناني (أبو الحسين محمد ت ٦١٥هـ/ ١٢١٨م)، رحلة ابن جبير، ضبطه ووضع فهارسه / محمد زينهم (لقاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٢).

— ابن حوقل (أبي القاسم بن حوقل النصيبي) ، صورة الأرض،(بيروت: دار مكتبة الحياة ، ١٩٩٢).
— ابن خرداذبة (القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف، المتوفى: نحو ٢٨٠هـ) ، المسالك والممالك، ج١ (بيروت: دار صادر، 1889).
— الذهبي (للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق / عمر عبد السلام تدمري، ج ٣٥ (لبنان: دار الكتاب العربي ، ١٩٩٤م ، ط١)
— أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن على ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١ م)، المختصر في أخبار البشر، ج ٢، تقديم/ حسن مؤنس، تحقيق/ محمد زينهم ويحيي سيد حسين (القاهرة: دار المعارف).
— العظيمي (محمد بن علي العظيمي الحلبي ت ٤٨٣- ٥٥٦هـ/ ١٠٩٠-١١٦١م) ، تاريخ حلب، تحقيق/ إبراهيم زعرور،(دمشق: ١٩٨٤).
— الكرخي (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المتوفى: ٣٤٦هـ)، المسالك والممالك ، (بيروت : دار صادر، ٢٠٠٤).
— المقريزي (تقى الدين أحمد بن على، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق/ محمد حلمي محمد أحمد، ج ٣ ، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٦).
— المؤرخ الرهاوي المجهول، روايات المؤرخ الرهاوي المجهول عن الحملتين الأولى والثانية، في الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، ج٥، ترجمة سهيل زكار، (دمشق :١٩٩٥م).
— النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ٦٧٧ – ٧٣٣ هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٨، (القاهرة: مركز تحقيق التراث، ٢٠٠٧،ط٣).
— ياقوت الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الملقب بشهاب الدين، ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م) معجم البلدان، ج٤، (بيروت: دار أحياء التراث العربي، ١٩٧٩).

ثالثا: المراجع الأجنبية :

- Archer, Thomas Andrew, The Crusades; the story of the Latin kingdom of Jerusalem, New York, Putnam, 1894.
- France, J.: Victory in the East.Amilitary History of The First Crusade, (Cambridge, 1994).
- John Francis Lowe, Baldwin I of Jerusalem: Defender of the Latin Kingdom of Jerusalem, A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts in History, Thesis Committee: John Ott, Chair Thomas Luckett Brian Turner Anne Mc Clanan, Portland State University, 2013.
- Lamb (H.): The Crusades Iron Men and Saints (New York, 1930).

رابعا: المراجع العربية :

- إبراهيم خميس إبراهيم، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية – الداوية، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية،٢٠٠٢).
- أمجد حافظ حسين طاعة، العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين في مصر وبلاد الشام (٤٩١- ٥٧٠هـ/ ١٠٩٨- ١١٧٣م)، ماجستير، (غزة: الجامعة الإسلامية، ٢٠١٢م).
- أميرة محمد شحاتة، دور الفرسان في مملكة بيت المقدس ، (القاهرة: دار عين ، ٢٠١٧م).
- جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١).
- حاتم عبد الرحمن الطحاوي، الإقتصاد الصليبي في بلاد الشام، (القاهرة : دار عين ، ١٩٩٩م).
- سعيد عبد الفتاح عاشور، "شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية"، *المجلة التاريخية المصرية* ، مج ١، ١٩٦٩.
- سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى،، ج١،(القاهرة: الأنجلو المصرية، ط ٤، ١٩٨٦).

- صفاء عثمان محمد إبراهيم، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م/ ٥١٢-٥٢٥هـ)، (القاهرة: دار العالم العربي ، ٢٠٠٨).
- صلاح الدين محمد نوار، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي (٤٩٠- ٥١٥ هـ/ ١٠٩٧- ١١٢١ م) أضواء جديدة على الحروب الصليبية، (الإسكندرية : دار الدعوة،١٩٩٣).
- طلب صبار محل – فواز نصرت توفيق، " بلدوين الاول وتوجهاته السياسية والاقتصادية نحو مصر ٤٩٤-٥١٢هـ/ ١١٠٠-١١١٨م"، *مجلة الدراسات التاريخية والحضارية*، المجلد (٦)، العدد ١٩،(نيسان ٢٠١٤ م – جمادي الآخرة ١٤٣٥ هـ).
- عبد الرحيم ريحان بركات، "الحصون الرومانية والبيزنطية بسيناء ورشيد والإسكندرية فى ضوء الاكتشافات الأثرية" ، *أعمال المؤتمر التاسع عشر للإتحاد العام للآثاريين العرب : دراسات في آثار الوطن العربي*، ٢٠١٦، ص ٥٢٧ – ٥٥٣.
- عباس عاجل جاسم الحيدري – سمير صالح حسن العمر، " الحروب الصليبية تطور المصطلح والمفهوم " *مجلة جامعة بابل العلوم الإنسانية* المجلد ١٩، العدد ٤،(٢٠١١م).
- علاء أبو الحسن إسماعيل و بديع محمد إبراهيم، "صراع المصالح بين الصليبيين والبيزنطيين في عهد الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين (١٠٨١- ١١١٨م)، *مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية*،العدد٢، ٢٠١٤.
- عمر كمال توفيق، "المؤرخ وليم الصوري" *مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية* العدد ٢١ (١٩٦٨).
- عمر كمال توفيق، مملكة بيت المقدس الصليبية، (الاسكندرية: مطبعة رويال، ١٩٥٨).

- فايز نجيب اسكندر، "متى الرهاوي والحملة الصليبية الأولى ١٠٩٥-١٠٩٩/٤٨٨-٤٩٢هـ " ضمن كتاب تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، (المنصورة : المكتبة العلمية) ،ص ١٥ – ٣٨.
- قاسم عبده قاسم، الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق، (القاهرة: دار عين، ٢٠٠١).
- قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية (القاهرة: دار عين، ٢٠٠٤).
- محمد سامي أحمد أمطير، الحياة الاقتصادية في بيت المقدس وجوارها في فترة الحروب الصليبية، ماجستير، جامعة النجاح الوطنية،(فلسطين : ٢٠١٠).
- محمد عبد الرحيم الطشاني، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين ..والصليبيين في بلاد الشام، ماجستير، جامعة (بنغازي:٢٠١٢).
- محمد مؤنس عوض، " بلدوين الأول ١١٠٠-١١١٨ م وصلاح الدين الأيوبي ١١٧١-١١٩٣م ملك وسلطان من عصر الحروب الصليبية " *مجلة الشرق الأوسط – مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس* مصر العدد ٢٤ (مارس ٢٠٠٩)، ص ٩-٦٥.
- محمد مؤنس عوض، تاريخ الصليبيات الصراع العالمي في العصور الوسطى، (القاهرة: دار العالم العربي، ٢٠١٢، ط ١).
- محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة ..حملة جان دي برين على مصر ١٢١٨- ١٢٢١م/ ٦١٥- ٦١٨ هـ ،(دار المعارف ،١٩٨٥).
- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ..مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي ، (الإسكندرية: المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠).
- مصطفى وجيه مصطفى، بدو سيناء بعيون الرحالة الأوربيين عصر سلاطين المماليك ٦٤٨- ٩٢٢هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، (دمشق: نورحوران ، ٢٠٢٢).
- هنادي السيد محمود إمام، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨م/ ٤٩٤-٥١٢م) ،(القاهرة : دار العالم العربي ، ٢٠٠٨م).

خامسا :المراجع المترجمة :

- أرنست باركر، الحروب الصليبية، ترجمة/ السيد الباز العريني (بيروت: دار النهضة العربية، ط ٤).
- بيريل سمالى، المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة/ قاسم عبده قاسم (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١،ط٢).
- ر.س.سميل، فن الحرب عند الصليبيين، ترجمة/ محمد وليد الجلاد، (دمشق : الدراسات العسكرية ، ١٩٨٥).
- رنية غروسية، موجز تاريخ الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي وشرقي حوض المتوسط ،ترجمة/ أحمد أيبش ، (أبو ظبي: ٢٠١٤).
- ستيفن رنسيمان، تاريخ الحملات الصليبية – مملكة القدس والشرق الفرنجي ١١٠٠– ١١٨٧م، ج ٢، ترجمة / نور الدين خليل ، ١٩٩٦م.
- ماير (هانس ابرهارد)، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة / عماد الدين غانم، تقديم / نجاح صلاح الدين القابس (طرابلس، ليبيا: مجمع الفاتح للجامعات، ١٩٩٠).
- هارولد فنك، "تأسيس الأمارات الصليبية ١٠٩٩–١١١٨م"ترجمة/عامر نجيب موسى ناصر، ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية إشراف كينيث سيتون (عمان، الأردن: دار الشروق،٢٠٠٤).
- هاملتون أ.ر.جب، صلاح الدين الأيوبي ... دراسات في التاريخ الإسلامي، حررها/ يوسف ايبش (بيسان، لبنان، ١٩٩٦).
- يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ترجمة/ عبد الحافظ البنا، (القاهرة: دار عين، ١٩٩٨).
- يوشع براور، عالم الصليبيين، ترجمة/ قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨).